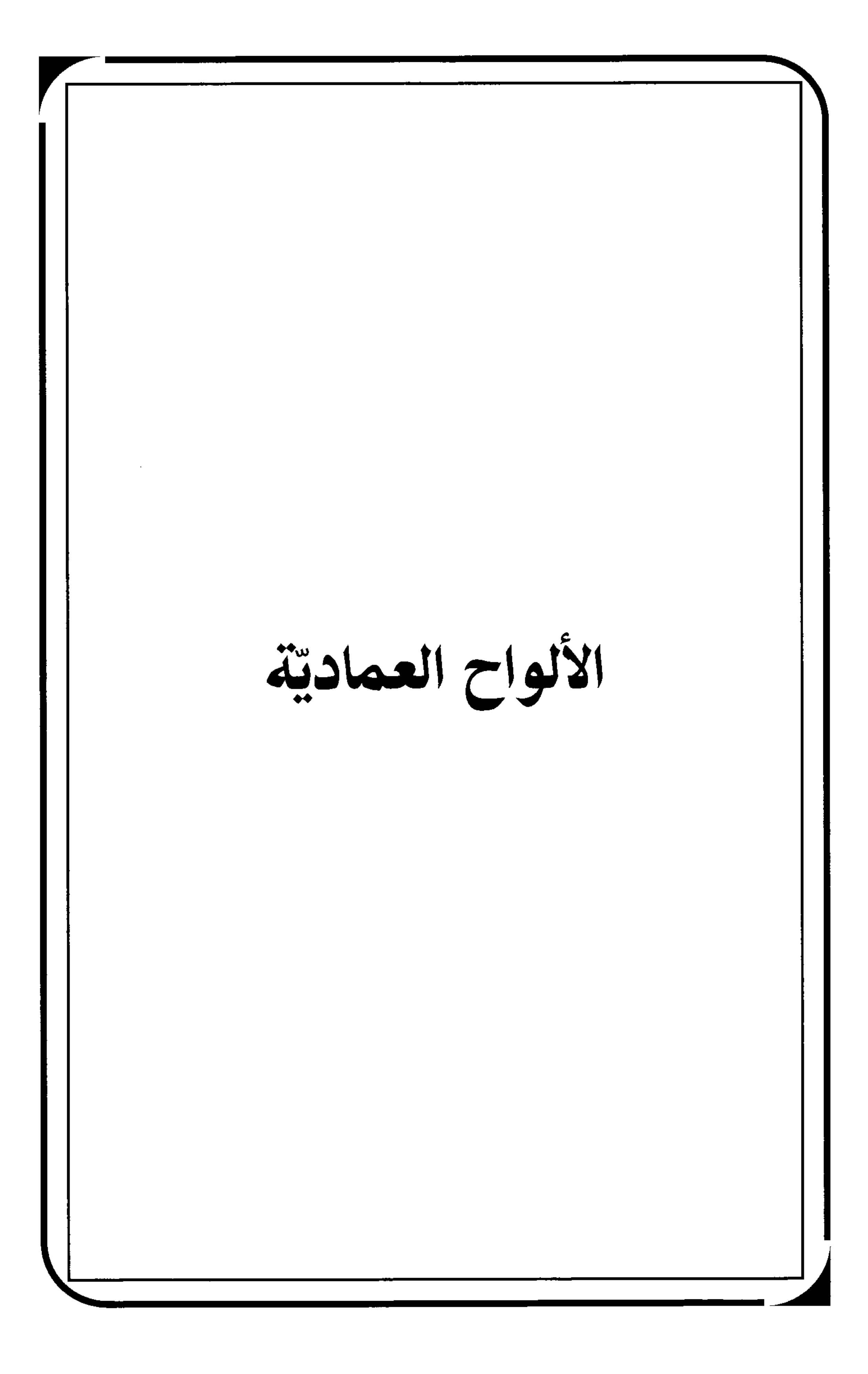


الألواح العماديّة



بسم الله الرحمن الرحيم

عَوْنُك يا لَطيفُ

(١) تبارك اسمك اللّهمّ، وتعالى ذكرك، وعظمتْ قدرتك، وعلتْ كلمتك. لك الحمد في البدء والرّجعى، ولك الحمد في الآخرة والأولى. سبحانك، مبدعَ الماهيّات، وواهبَ الحياة ومفيضَ النور، ونورَ الأنوار، ومدير كلّ دوّار. أنت الغاية الأقصى، والمبدأ والمنُتهى. لك الكمال الذي لا يتناهى، والمجد الذي لا يزاحم ولا يباهى. لستَ ذا حيِّز فتقعَ تحت تصرّف وهم أو حسّ، ولا جوهرًا فتقعَ تحت عموم جنس، ولا عرضاً فتحتاجَ إلى حامل ومحلّ. وأنت وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى. صلِّ على الذّوات الكاملة، والنّفوس الفاضلة. وخصِّصْ صاحبَنا محمدًا ﷺ بأفضل صلواتك وأزكى تحيّاتك. ووفّقنا لما يقرّبنا منك، وبعّدنا عما يبعّدُنا عنك. إنّك أنت الجواد الكريم.

(٢) وبعدُ، فإنّه لمّا تواترتْ لديّ مكاتبات الملِك العادل المظفّر المنصور، عماد الدّين، سيّد ملوك [آمد] وديار بَكر، قَرَارْ سلان بْن داوُود بن أرتق، نصير أمير المؤمنين ـ حرّس [الله] جلاله وضاعف إقبالَه ـ وقد أمَرَنا بتحرير عجالة شديدة الإيجاز، بيّنة الإعجاز، يتضمن ما لا بدّ في معرفته في المبدأ والمعاد، على ما يراه متألِّهة الحكماء وأساطين الفضلاء. فبادرتُ إلى امتثال رسومه وتحصيل مطلوبه. وقد كنتُ صادفتُ مختصرات صنّفها بعض المتأخرين لأمراء زمانهم وملوك أيّامهم؛ وسمعتُ أنّهم ما انتفعوا بها، لأنّهم ذهلوا عن مصلحة التعليم وطريق التفهيم؛ وما غيّروا شيئًا من اصطلاحات المأخذ، ففوّتوا لغاية فائدةٍ جزئية مصلحةً

كلّية. فرأيتُ أنْ أقرّب الاصطلاحات إلى الفهم في مواضع لا تختل بها القواعد الكلية والمطالب الأصليّة. وسمّيتُه **«الألواحَ العِماديّة»** تيمّنًا بعلوّ ذكره، وتفألاً بسُموّ قدره. وأوردتُ فيها جملاً من اللطائف، ولُمعًا من الغرائب. وما أظنُّ انّه قد صُنِّف قبلُ مثلُه. وبرهنْتُ فيه على المباني، ثمّ استشهدتُ بالسّبع المثَاني. فأثبتُّ في الأصول الكلية معنىً معنىً، وعقّبته بشهادة مثنىً مثنىً. وغرضنا منه ينحصر في «مقدّمة وأربعة ألواح».

مقدّمة ـ [في أمور كالعام (الكلي) والمتشخص (الجزئي) والماهية ولوازمها والجوهر والعرض (الهيئة) والجسم والجوهر الفرد]

(٣) اعلم أنّ المعنى العام هو الذي يشترك فيه الكثيرون كالإنسانيّة والحيوانيّة، فإنّه ليس شركة زيدٍ وعمروٍ في اسم الإنسانيّة وشركة الفرس والطّير في اسم الحيوانيّة فحسبُ، بل وفي معناهما حتى إذا رأيتَ رجلاً ما رأيت قطّ، أو طيراً، تحكم عليهما بالإنسانيّة والحيوانيّة وإن لم تسمع حينئذٍ إنّهما يسمّيان باسم الإنسانيّة والحيوانيّة.

والأمر المتشخّص هو الذي لا يصحّ وجوده في الذهن فقط؛ أمّا في خارج الذّهن فلكلّ شيء هويّةً متشخّصة لا يشاركه فيها غيره.

ولمّا كان إدراك الشيء، هو حصولُ صورةٍ ومثال منه فيك ـ فإنّ الذي يحصل فيك من العلوم ليس ذاته بل أمرٌ يطابقه، حتّى إذا لم يكن الذي عندك مطابقاً له فلا يكون قد علمتَه كما هو ـ فإذا رأيتَ أسداً حصل منه في ذهنك مثالٌ كلّي للأسد، فكلّ أسدٍ تراه بعد ذلك تحكم عليه بأنّه أسد ـ صغيراً كان أو كبيراً، أو أسود أو أحمر ـ لأنّه حصل عندك صورةُ الأسديّة المطلقة بحيث تطابق كلّ أسدٍ على اختلاف الأُسُود.

(٤) واعلم أنّ الشيء قد يكون عامّاً بالنّسبة إلى شيء، خاصّاً بالنّسبة إلى غيره كالحيوان فانه أعمّ من الإنسان وأخصُّ من الجسم، والجسمُ فإنّه أعمّ من الحيوان وأخصُّ من الجوهر.

(٥) واعلم أنّ الأشياء التي تشترك في أمرٍ لا بدّ لها من أنْ يمتاز بعضها عن بعضٍ بأمورٍ تخصّ كلّ واحد، مثل أشخاص النّاس، فإنّهم اشتركوا في الإنسانيّة. وامتازت الأشخاص بعضها عن بعضٍ بالهيئات ـ من السّواد والبياض والمقادير والأوضاع والأحياز والجهات ـ ولك أنْ تعلم أنّ الوصف الذي يوصَف به الشيء، قد يكون ضروريّاً له كالزّوجيّة للأربعة، فإنّ فاعلاً لو أراد أن يحصّل أربعةً ليست بزوجٍ لا يمكنُه إذ يمتنع انفكاك الأربعة عن الزّوجيّة، وقد يكون ممتنعاً له وهو ضروريّ العدم كالفرديّة على الأربعة، وقد يكون ممكناً وهو الذي لا ضرورة في وجوده ولا في عدمه كالقيام والقعود على الإنسان.

(٦) ووصفُ الشيء قد يكون أعمّ منه كالأبيضيّة للثّلج فكل ثلجٍ أبيضٌ وليس كل أبيضٍ ثلجاً؛ وقد يكون مساوياً في العموم والخصوص مثل الزوايا الثلاث للمثلّث فإنّ كلّ مثلّث له زوايا ثلاث وكلّ ما له زوايا ثلاث فهو مثلّث. والوصف الذي يلزم الشيء باعتبار خصوصه لا يلزم أن يثبت لمشاركه في المعنى العامّ؛ فالحرارة ثابتةٌ للنّار لأنّها نارٌ لا لأنّها جسم، إذ لو كانت للجسمية لكان كلّ جسم حارّاً.

(٧) والعلماء إذا حكموا على شيء بإمكان أمرٍ أو وجوبِه أو امتناعِه، فإنّما يعتبرون ما يلزم الماهيّة ـ وأعني بالماهية ما به يكون هو ما هو ـ ولا يعتمدن على الاستقراء. والاستقراء على سبيل المشاهدة، هو أن يقال «رأينا الأكثَر كذا، فينبغي أن يكون الكلّ كذا» وهو غير قويّ، فإنّه يجوز أن يخالف حكم ما لم يعهد، حكم ما عهد، كمن يحكم بأنّ كلّ حيوان إذا لبث في النّار يحترق، لأنّي رأيتُ أكثر الحيوانات ـ من الإنسان والطّير والفرس وغيرها كذا؛ وليس بصحيحٍ فإنّه ربما لم يشاهد هذا القائل مثلاً السّمندرَ، فإنّه لا يضرّه اللّبث في النّار.

(٨) واعلم أنّك تفرق بين كون البياض في العاج، وبين كون الماء في الكوز وكون الإنسان في البيت، فإنّ البياض في العاج بكليّته شائع ليس له سمك لم يجامع العاج، بخلاف الماء في الكوز والإنسان في البيت فإنّ لهما سمكا؛ فما هو

مثل السواد والبياض في كونه شائعاً في شيء، نسمّيه على سبيل تقريب الاصطلاح «هيئةً» و ما هو فيه محلاً له.

والهيئة لا تنتقل من محلّ، فإنّها عند الانتقال يلزمها الاستقلالُ بالحركة والقيامُ بنفسها، فتكون جوهراً وقد كانت هيئةً، وتلزمها أيضاً في حالة الانتقال، جهاتٌ ثلاث وهي طول وعرض وعمق فتكون جسماً وقد كانت هيئةً هذا محال.

(٩) والقائم لا في محلّ ممّا يمكن وجوده يصطلح عليه اسم الجوهر؛ وإن كان اصطلاح العلماء المشّائين على تفصيل آخر ذكرناه في مواضع أخَر، إلاّ أنّ هذا لا يضرّنا في غرضنا. فالجسم يصحّ أن يكون له مكانٌ ولا يصحّ أن يكون له محل قط؛ فذو المكان قد يصحّ انتقاله عنه، بخلاف الحالّ في المحل. والجوهر الذي يصحّ أن يقصد بالإشارة الحسية فهو جسمٌ ويلزمه لا محالة طولٌ وعرض وعمق. والأجسام لمّا تشاركتْ في الجسميّة فلا بدّ لها من فارقٍ بينها والفارق هو الهيئة. ولمّا رأيتَ افتراق الجسمينِ بالسواد والبياض بعد اشتراكهما في الجسميّة فتعلم أنّهما زائدانِ على الجسميّة، إذ لا يفترق شيئان بما اشتركا فيه.

والهيئات يتمايز بعضها عن بعضٍ بثلاثة أشياء:

أحدها، أن يكون الاختلاف بالحقيقة كاختلاف السّواد والطعم فإنّهما وإنْ كانا في محل واحد يتمايزانِ بحقيقتهما.

والثاني، باختلاف المحلّينِ إذا اتّفقت الحقيقة كما يتمايز السوادانِ بمحلَّيهِما.

والثالث، باعتبار زمانَينِ إذا اتّفق المحل لشخصَيْ نوعٍ واحد كحرارة كانت في حجرٍ العام الأوّل وحصلتْ فيه [هذه] السَّنة.

وبالجملة، كل اختلاف فإمّا بالحقيقة كما في الإنسان والفرس؛ وإمّا بعارض كما بين إنسان وإنسان.

(١٠) واعلم أنّ جماعة من النّاس يعتقدون أنّ الجسم يتجزّى إلى ما لا يتجزّى في الحسّ ولا في الوهم وسمّوه «الجوهر الفرد» وقالوا: الأجسام مركّبة من هذه الجواهر. والحكماءُ ينكرون صحّة وجود جزء للجسم لا يقبل التّجزئة الوهميّة؛ وإن

كانوا يسلّمون أنّه يجوز أن ينتهي في الصغر إلى حيث لا يقبل التّجزئة بالفعل، ولكن لا بدّ من إمكان التجزئة الوهميّة. واحتجوا بأنّ هذه الأجزاء إن كانتْ يتألّف منها الجسم، فلا شك أنّها كلّما ازدادتْ يزداد المقدار بتأليفها؛ فإذا فرضنا جوهراً بين جوهرَينِ، فلا بدّ وأنْ يحجب بينهما عن التماسّ، فيلقى كلّ واحد منهما شيئاً غير ما يلقاه الآخر، فانقسم.

وأيضًا إذا فرض جوهر على مُلتقى اثنين فيلاقي كلّ واحد منهما منه شيئاً غير ما يلقاه الآخر، فانقسمت الثّلاثة.

وفي الجملة، هذا الجزءُ ـ إنْ كان ـ فما منه إلى صوبٍ غير ما منه إلى الآخر، فانقسم.

(١١) واعلم أنّ التّداخلَ الممتنعَ هو أن يلقى كلّ واحد من الحجمَيْنِ كلّ الآخر بحيث لا يزيد مقدار مجموعهما على أحدهما، ويكفي لمجموعهما حيّز أحدهما.

هذا ما أردنا ذكرَه في هذه المقدمة لتوطئة الغرض.

اللّوح الأوّل

في إثبات تناهي الأبعاد وفي طرف من السّماء والعالَم وفي بسائط العنصريّات وما يحدث منها

(١٢) اعلم أنّ الأبعاد كلّها متناهيةٌ إذ لو كانت الامتدادات غير متناهية من جميع الجهات كانت سعة العالم غير متناهية: فإذا فرضنا جسماً مستديراً ولْيكنْ تُرساً ـ وفرضنا خروج ستّة خطوط من جوانبه بحيث تقسّمه إلى ستّة أقسام متساوية ذاهبة إلى غير النّهاية، فلا شك أنّها كلّما بعدتْ من الجسم المذكور اتّسعتْ زواياها فظاهر أنّها تقسّم سعة العالم كلّها إلى ستّة أقسام، فإمّا أن يكون بين كلّ خطَّينِ من جملة السّتة الذّاهبة إلى غير النّهاية قدرٌ غير متناهٍ وهذا محال، لأنّه محصور بين حاصرَيْن؛ وإمّا أن يكون بين كلّ اثنين قدرٌ متناهْ فمجموع ستّة الأقسام المتناهية يكون متناهياً. ويذكرون ها هنا حججًا أُخر مشهورة ولكن هذا الذي وقع لنا أظهر.

قاعدة

(١٣) إذا ثبت نهاية الأبعاد فللامتدادات غايات هي منتهى الإشارة والحركة، ولا تتعدّيانها. من الظاهر إنّ الحركة والإشارة لا تقعان إلى غير شيء، بل لا بدّ وأن تقعا إلى صوب بُعدي. فالجسم الذي هو غاية الإشارة، لا يجوز أن ينخرق، لأنّه يلزم من خرقه اختلاف حركتَيْ جزئَيْهِ إلى صوبَينِ مختلفَينِ، وقد قلنا إنّه ليس

وراه شيء؛ ولا تقع الحركة إلى لا صوب ولا شيء. وإذا علمت هذا، فاعلم انّه لا يصحّ أن تكون غايات الأصواب أجساماً مختلفة تتألّف، فإنّها تحصل ثمّ تتألّف فيمكن اجتماعها وافتراقها، وقد قلنا إنّه لا يصحّ خرق الغاية فتكون حركاتها إلى لا صوب ولا شيء وهو محال؛ فينبغي أن تكون غاية الأصواب جسماً واحداً محيطاً بالكلّ إبداعيّاً لم تركّب من الأجزاء.

(١٤) ولا يجوز أن يكون شيء منه يقتضي السفلية، وشيء منه يقتضي العلويّة فإنّه جسم واحد متشابه الأجزاء إذ لا أولويّة لعلوية بعضه وسفلية الآخر، فإذا كلّه علو. ولمّا كان السّفل في غاية البُعد وغاية البعد من المحيط هو المركز فغاية السّفل هو المركز. والمركز لا يعيّن المحيطَ لجواز وقوع دوائر غير متناهية بالقوة على نقطة واحدة. فالمحيط هو المحدّد وهو السماءُ الأقصى.

والمحدّد لا يتحرّك على الاستقامة إذ ليس وراه صوبٌ بل هو منتهى جميع الأصواب بمحيطه ومركزه.

وممّا يشهد بما ذكرنا من التّنزيل مثنى قوله تعالى بعد ذكر السّماء: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[١] وغير الكريّ يلزمه الزاوية والفرجة. يثنيه قوله ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[٢] وعلى غير الطريقة المذكورة يلزمه الفطور. ويدّل أيضاً على عدم الخلأ.

(١٥) ومحال أن يكون حشو المحدّد أو فيما بين أيّ جسمَين كانا خلاً فإنّه إذا عني بالخلأ لا شيء، وقد يفضل ما بين جسمَينِ متباعدَينِ على ما بين جسمَين متقاربَين، وما يسع للجسم الأكبر، أكبر ممّا يسع للجسم الأصغر، فالخلأ متقدّر؛ وكيف يكون ما ليس بشيء متقدّراً. وإن عبّر عن شيء فكان متقدّراً؛ وإذا كان متقدّراً من جميع الجهات، فهو جوهر مقصود بالإشارة ذو طول وعرض وعمق وليس معنى الجسم على ما هو الضابط في النظر إلاّ هذا.

ثمّ إن وقع فيه الجسم ولا يثخنه فقد تداخل المقدارانِ وهو محال وكيف لا

---

(١) سورة ق، الآية: ٦.
(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

يزيد مجموع المقدارَين على أحدهما؟ فالعالم كلّه ملأ وليس وراء المحدّد خلأ ولا ملأ أصلاً.

(١٦) وللمكان أمارات: من جملتها أن يكون الجسم فيه، ويصحّ توهّم انتقاله عنه؛ فليس المكان ما يستقرّ عليه الجسم لأنّه ليس فيه؛ وليس حامل العرض مكاناً له لأنّه لا يمكن توهّم انتقاله عنه؛ فمكان الشيء هو باطن حاويه المُماسّ له فما لا حاوي له لا مكان له.

قاعدة

(١٧) الحركة هيئة لا يتصوّر ثباتها. وتنقسم إلى طبيعيةٍ كحركة الحجر إلى أسفل؛ وإلى إراديّةٍ وهي ما يصحّ على جهات مختلفة كحركات الحيوانات؛ وإلى قسريّةٍ كحركة الحجر إلى فوق.

(١٨) وأنت تعلم من تأخيرك لأمرٍ إذا أدّى إلى فواته ممّا يختلف في القبليّة والبعديَّة، أنّ في الوجود شيئاً غير ثابت متّصلاً، منه القبليّات والبعديّات؛ ولتحدُّدِه وتقدُّرِه يجب أن يكون شيئاً، إذ العدم البحت لا يتحدّد؛ ولعدم ثباته يجب أن يكون أمراً متعلّقاً بالحركة وهو «الزمان»؛ فالزّمان هو مقدار حركة الفلك، إذا جمع في الذهن متقدّمه مع متأخّرة.

وقُسم الزمان إلى أجزاء من السّنين والشّهور والأيّام والسّاعات. ودوام الوجود في الماضي يسمّى «الأزل» ودوام الوجود في المستقبل يسمّى «الأبد».

(١٩) والمحدّد به يتعيّن مكان جسم، وبه صحّتْ جهات الحركات المستقيمة وبحركته اليوميّة اعتبروا الزّمان. وإذا رأيت الشّمس والكواكب غربت ثم ظهرت من مشارقها، فلا بدّ وأن يكون وصولها إلى مشارقها بحركة دوريّةٍ إذ لو رجعْ قبل تتميم الدورة لتعود إلى المشرق لرأيت، ويُثنّى النهار بعود الشّمس، وليس كذا فهي قاطعة المسافة ممّا يلي الجانب الآخر من الأرض.

والمتحرك ينقسم إلى ما يتحرّك على الوسط كالمحدّد والأفلاك؛ وإلى ما يتحرّك إلى الوسط وتلزمه برودة؛ وإلى ما يتحرّك عن الوسط وتلزمه حرارة.

(٢٠) وكلّ ما يتحرّك على الاستقامة فهو قابل للخرق إذ لا بدّ من أن ينفصل عن كلّية نوعه. وكلّ قابل للخرق فإمّا أن يقبل الاتّصال والانفصال والتّشكل وتركه بسهولة، أو بصعوبة. والأول هو الرطب، والثاني هو اليابس.

وإذا لم يخرج الأجسام التي عندنا من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فركّبت هذه الكيفيّات الأربع [و] حصلت منه أربعة أقسام: حارّ يابس ينحو أقصى الفوق وهو الخفيف المطلق كالنّار؛ وحارّ رطب كالهواء وهو الخفيف بالنسبة؛ وبارد يابس يقصد أقصى السفل وهو الأرض؛ وباردٌ رطب وهو الماء يستقرّ فوق الأرض وتحت الهواء وهو ثقيل بالنسبة. ولولا أنّ الهواء أخفّ من الماء ما كان الزقّ المملوّ من الهواء يرسب قسراً ويطفو طبعاً. ولولا أنّ الأرض أثقل من الماء، ما رسب التّراب إذا وقع في الماء.

والسّماويات لمّا لا تقبل التفصيل والخرق أصلاً ـ لا بسهولة ولا بصعوبة ـ فهي لا رطبة ولا يابسة؛ ولمّا لم يتحرّك على الاستقامة لا عن الوسط ولا إلى الوسط فهي لا حارّة ولا باردة؛ وليس بخفيفة ولا ثقيلة، لأنّ الخفّة قوة تحرّك الجسم إلى فوق، والثّقل قوة تحرّك الجسم إلى أسفل، وهي لا تتحرّك لا عن الوسط ولا إلى الوسط أصلاً؛ فبطل قول من يظنّ أنّها مائية أو نارية.

(٢١) والعنصريّات مرتّبة تحت السّماويات في مقعّر فلك القمر. فانقسمت الأجسام إلى أثيرية ثابتة الصّور، وعنصريّة كائنة فاسدة متغيّرة الصّور. والعنصريّات منفعلة عن الأثيريّات. واعتبر بما تشاهد من آثار النيّرَينِ.

وهذه العنصريّات تستحيل من كيفية إلى كيفية كالماء تزول عنه البرودة بمجاورة النّار وتحدث فيه الحرارة.

والأجسام يؤثّر بعضها في بعض إمّا بمقابلة كالنيّر يضيء ما يقابله؛ أو بمجاورة كالنّار تسخّن ما يجاورها؛ أو بملاقات كالنّار تحرق ما يلاقيها ممّا يقبل أثرها. وأسباب الحرارة ثلاثة:

الأوّل، مجاورة جسم حارّ كالنار. وقوم أنكروا الاستحالة وزعموا أنّ الماء ما

تسخن بل فشّت فيها الأجزاء النّارية ومعها الحرارة. ولو كان كما زعموا لكانت قماقم الحديد والنّحاس أبطأ تسخّناً من أواني الخزف على نسبة تمنع الفشو، وليس كذا. مع أنّ الجمد يبرّد ما فوقه وأجزاؤه لا تتصاعد؛ فلا بدّ من الاعتراف بالاستحالة.

السبب الثاني، الشعاع. كما ترى ـ واعتبر بالمرآة المحرقة فإنّها تحرق ما يقابلها لشدّة قبولها الشعاع بسبب انعكاس الشعاع من جوانبها إلى مقعّرها ـ من تسخين شعاع الشمس.

وقوم زعموا أنّ الشعاع جسمٌ، وإنّما يسخّن لعبوره على كرة النّار. وقولهم باطل، فإنّه لو كان الشعاع جسماً، لكان إذا أخذت الكوّة بغتةً أو كُبّ على المصباح شيء، [الشوهد] تحرّك أو [تثبّتُ]. فلمّا وجب بطلانه فهو عرض. ولو كان جسماً لكان يجب أن يتحرّك بطبعه إلى فوق لا إلى أسفل وليس كذا، بل هو عرض. وليس أنّه ينتقل بل هو هيئة تحدث فيما يقابل الشمس ابتداء لا انتقالاً.

السبب الثالث، الحركة، فإنّها تسخّن. واعتبر بالمحكوك والمُخَضخَض.

وقوم زعموا أنّ الحركة لا تسخّن، بل التسخّن هاهنا بظهور أجزاء ناريّة كامنة.

ويكذّبهم ما نرى من الماء وغيره من المائعات قبل الخَضْخَضة بارداً ظاهره وباطنه، وبعدها يتسخّن ظاهره وباطنه؛ فلو كان بظهور أجزاءٍ ناريّة كامنة، لَبردَ الباطن حين تسخن الظاهر، وليس كذا. وما نرى من حصول النّار بالقدْح، ليس بأن يخرج من حجرٍ أو حديدٍ كلّ تلك النّار، بل بأنّ الحركة تُسخّن الهواءَ الذي بينهما فينقلب ناراً. ثمّ إذا زال السّبب تنقلب النارُ هواءً والشُّعل والشّرر التي تغيب عن البصر، أكثر، تصير هواء إذ لو بقيت ناراً لاحترق ما يقابلها، وليس كذا.

(٢٢) وبالنّفخ الشديد ينقلب [ناراً] كما يصير الهواء بالبرد الشديد ماءً. فما يرى ممّا يركب الزّجاجات التي فيها الجمد، والطّاسات المكبوبة عليه من القطرات ـ وليس ذلك من الرّشح، فإنّ الماء الحارّ أولى بالرّشح من الجليد، ولا يوجد ذلك

من الماء الحارّ ـ فليس إلاّ أنّ الهواء انقلب بشدّة برد يلحقه لمجاورة ذلك ماءً. والماء يصير لشدة الحرّ كما يرى من أصحاب الكيمياء أنّهم يحلّلون الحجارة الصلبة فيتركونها مياهاً سيّالة. وإذا رأيت في الحمّام صعودَ الأبخرة بالحرارة وتكاثفَها عند فتح باب الحمام ونزولَها قطرات، وعدمَ ظهور نَفَسك في حرّ الصيف وتكاثفَه في برد الشتاء، وصيرورته قطرات وتجمُّدَه على شعورك أحياناً، فلا تتعجّب من تكاثف الأبخرة بالبرد التي تسمّى «سحاباً» ومن نزوله قطرات التي تسمّى «مطراً» ومن صيرورته «ثلجاً» وغيره. وما يسخن بالشعاع ويلطف ويصعد من اليابس يسمّى «دخاناً» وما من الرّطب يسمّى «بخاراً» ومن هذَينِ يحصل آثار الجوّ. فسبحان المدبّر بالحكمة والإتقان، وسبحان مفيض الجود قديم الإحسان، سبحانه، إليه المصير.

(٢٣) واعلم أنّا إذا قلنا إنّ النطفة صارت إنساناً، ليس معناه أنّ النطفة باقية مع الصورة الإنسانية حتى يكون الشيء الواحد نطفةً وإنساناً، ولا أنّ النطفة بطلتْ بكلّيتها وخُلق الإنسان بكلّيته فلا تكون النطفة قد خُلق منها الإنسان؛ فليس إلاّ أنّ الجوهر الذي فيه الهيئات التي بها صارت النطفة نطفةً، بطلت عنه صورة النطفة وحصلت فيها الصورة الإنسانية؛ وكذلك إذا صار الماء هواءً وغيره.

(٢٤) وذلك الجوهر الذي يتبدّل عليه هذه الصّور، هو المسمّى «هيولى» فإذا أخذ مع اعتبار امتداداتٍ طوليّة و عرضيّة وعمقيّة، فهو «الجسم» وإذا أخذ بالنسبة إلى الهيئات التي فيه، فهو المحلّ، وإذا أخذ بالنسبة إلى ما يحصل منه من الأنواع ويتبدّل عليه من الصّور، فهو «الهيولى»، كما يسمّى زيد بالنسبة إلى أبيه «ابناً»، وبالنسبة إلى ابنه «أباً»، وبالنسبة إلى ابن أخيه «عمّاً». ونسبة الهيولى إلى الصّور على سبيل المساهلة، كنسبة الحديد إلى السيف، والنحاس إلى القمقمة. وقد يسمّى الهيولى باسم «المادّة».

والعنصريّات، هيولاها مشتركة، تخلع صورةً وتلبس أخرى. والأفلاك، هيولاها غير مشتركة أي صورها ثابتة لا تزول ولا تتبدّل عليها.

وتخلق عن هذه الأمّهات الأربع، المواليدُ الثّلاث: المعدنيّات والنّبات والحيوان. وكلّما كان الامتزاج بينها أعدل كان قبولها لنوعٍ أشرف.

اللّوح الثّاني

في النّفس وإشارة [خفيفة] إلى قواها

(٢٥) اعلم أنّ الحس ـ كالبصر ـ لا يدرِك إلاّ مع علاقة وضعيّة، حتّى إذا زال الشيء عن المقابلة زال الإبصار. والخيال يجرّده عن تلك العلاقة فترتسم فيه صورةُ الشيء مع غيبته، ولكن لم يقدر على التجريد عن العوارض الغريبة ـ من أين وكيف ووضع ـ والعقل يجرّده، فيجعل ما كان محسوساً ومتخيّلاً مع عوارض غريبة، معقولاً دونها فيأخذ من الحيوان صورة طابقت جميع أنواع الحيوانات ـ صغارها وكبارها ـ من حيث الحيوانية واشترك فيها النمل والفيل.

(٢٦) ونبرهن من هاهنا ونقول: لو كانت هذه الصّور المطلقة في جرم لَلَزمها وضعٌ خاصّ ومقدار خاصّ فما طابقت المختلفات فيها. ولمّا طابقت فليستْ في جرم ولا في أمر جرمانيّ أصلاً، فمحلّها منك بريء عن الأبعاد والجهات، وهو «النّفس».

(٢٧) برهان آخر: هو أنّك عقلت الشيئية المطلقة دون خصوص إنسانيّةٍ وسواديّة ومقدار، فلو كان محلّها جسماً، فإذا قُسّم في الوهم كانت تنقسم صورة الشيئية ـ فإنّ العرض ينقسم بانقسام حامله ـ فإمّا أن يكون كل جزء من الشيئية شيئيةً فحسب، فيكون لا فرق بين الكل والجزء ـ فإنّ الكلّ أيضاً شيئيةٌ فحسب ـ وإن كان كلّ جزء شيئية مع أمر آخر من خصوص مقدار وغيره، فقد زاد الجزء على الكلّ. وإن لم يكن كل جزء من الشيئية شيئية ولا شيئاً مع خصوص مقدار، فيكون للشيئية جزء هو لا شيء وكلّ هذا محال، فمحلّها ليس بجسم ولا منقسم.

(٢٨) وأيضًا عقلت مفهومَ الواحد المطلق البريء عن خصوص مقدار، فلو انقسم محلّه لانقسم فلا يكون الواحد واحداً، وقد فُرض أنّه الواحد فلا ينقسم محلّه. فمحلّ المعقولات ليس شيئاً ينقسم في الوهم أو يشار إليه أو له مقدار ووضع، بل هي ذاتٌ أحديّةٌ بريّةٌ عن الأيون والمحالّ. لقد أفلح من عرفها واستكملها، وخسر من جهلها وضيّعها كما ورد في التنزيل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[١] وقد ورد فيمن يجهلها مثنى وهو قوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٢] مع قوله ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[٣] والقلب هاهنا إشارة إلى النفس، لا إلى العضو المشهور.

وهذه النّفس هي التي يسمّيها الحكماءُ النّفسُ النّاطقةَ وقد ورد في التنزيل فيها مثانٍ، من جملتها قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[٤] يثنيه قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[٥] هذه الإضافة تؤذن لشرف النّفس وتجرّدها وكونها جوهراً إلهياً؛ ومثنى آخر في حق المسيح ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٦] وظاهر كون المسيح من نوع البشر؛ وقوله: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[٧]؛ ومثنى آخر وهو قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[٨] و«الأمر» هو المفارق، وأضافه إلى نفسه، يثنيه قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾[٩].

(٢٩) فالنّفس أمره ونوره والكّل مقيّد بالإضافة إلى الرّبوبية.

وهذه هي التي أشار إليها النّبي(عليه الصلاة والسلام) بقوله: «أبيتُ عندَ رَبّي يُطعِمُني ويَسقيني» وهي هذه التي كانت تطلب «الرّفيق الأعلى» وإيّاها عنى عليّ رضي الله عنه بقوله لمّا ذكر قلع باب خيبر فقال: «بَل قلعتُه بقوّةٍ ملكوتيّةٍ، ونفسٍ مِنْ نور ربّها

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ ـ ١٠.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٩.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٩.
(٥) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٧) سورة التحريم، الآية: ١٢.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٩) سورة النور، الآية: ٣٥.

مُضيئة» وإيّاها عنى أبو يزيد بقوله: «انسلختُ من جلدي فرأيتُ من أنا» وقوله: «طلبتُ ذاتي في الكونين فما وجدتُها» وإليها أشار الحلاج بقوله: «تبيّن ذاتي حيثُ لا أين» وقوله عند صلبه: «حسب الواحد إفراد الواحدِ له» وإلى معادها أشار بقوله:

اقتُلوني يا ثِقاتي إن في قَتلي حَياتي
وَحَياتي في مَماتي ومماتي في حَياتي

وإيّاها عنى بقوله:

هيكليُّ الجسمِ نوريُّ الصَّميم صمَديُّ الرُوح ديّانٌ عليمٌ
عادَ بِالرُّوح إلى أربابِها بقيَ الهيكلُ في التربِ رَميم

وإليها أشار شيخ من الصوفية لما قال: «الصّوفي مع الله بلا مكانٍ» وقال: «إنّه كائن بائن» وإليها أشار المسيح بقوله: «تَشبَّهوُا بِأبيكُم السماويّ» وبقوله: «أبي وأبيكم». لنسبة النّفس إلى القدس إيّاها عنى لمّا قال: «لا يصعد إلى السّماء إلاّ من نزل منها» وفي نبيّنا محمدٍ ﷺ ورد في التنزيل مثنى وهو قوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[1] يثنيه قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2] ولولا تجرّد نفسه من الحيّز، لما صحّ دنوّها من عديم الحيّز. ومثنى آخر قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾[3] يثنيه قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[4] أشار إلى العرج الروحاني لخفّة علاقة البدن.

تذكيرات منبّهة ـ [في إثبات تجرد النفس]

(٣٠) اعلم أنّ الإنسان يتبّدل عليه جلده، ولا يتبّدل المدرك لذاته منه. وقد يبقى نوعه دون كثير أعضائه. والقلب والدماغ والأعضاء الباطنة يحتاج في معرفتها إلى تشريح، وأنت تشعر بذاتك مع غفلتك عن جميع الأعضاء، فهي مبائنة عن الكلّ، لأنّك دائم الذكر لها حين نسيت الكلّ، وكيف تعقل الشيء وتذكره دون أجزائه. فليس شيء من هذه جزء لك.

---

(١) سورة النجم، الآية: ٨.
(٢) سورة النجم، الآية: ٩.
(٣) سورة النجم، الآية: ٧.
(٤) سورة التكوير، الآية: ٢٣.

(٣١) **طريق آخر**: نقول: أنت تشير إلى ذاتك بـ «أنا» وتفرز عن أنانَيتك جميعَ ما في البدن وعالمِ الأجرام، وتشير إليه بأنّه «هو»، وتتخيّله مفرزاً عنك، ولا يمكنك أن تفرز ذاتك عن ذاتك وتشير إلى نفسك بـ «هو»، فلستَ بشيء من عالم الأجرام.

(٣٢) **طريق آخر**: لو أتت الغاذية بما تأتي ولم يتحلّل من بدنك شيء لأزداد مقدار بدنك على ما هو عليه كثيراً وليس كذا، فلا بدَّ من التّحلل. وما من جزءٍ من بدنك إلاّ وتنقصه الحرارة، أو تحلّله بالكلية إلى بدل، وكذا المزاج والروح، وأنانيّتك لم تنقص ولم تتبدّل فليست هي بمزاج ولا عضو ولا بشيء من عالم الأجرام.

قاعدة ــ [في الحواس الظاهرة والباطنة]

(٣٣) قد رُتّب للحيوان حواس خمس ظاهرة وهي اللّمس والذّوق والشمّ والسمع والبصر.

وله حواس أخرى باطنة وهي أيضًا خمس:

أوّلها، الحسّ المشترك.

والثاني، الخيال.

وهذان في التجويف الأوّل من الدماغ: الأول في مقدّمه، والثاني في مؤخره.

أما الخيال فلا شك فيه، لِما يتخيّل من الملموسات والمبُصَرات والمذوقات وغيرها، ويدّل على أنّ صور جميع المحسوسات تبقى فيه.

وأمّا الحسّ المشترك، فتعلمه بما تفرق بين ما تتخيلّه وبين ما تشاهده معاينةً في المنام وغير المنام عند غموض طويل، فإنّه لو كانت المشاهدة بالخيال كان كلّ ما يُتخيّل مشاهدةً؛ فإذنْ هذا الذي يشاهد الصّورَ من جميع المحسوسات هو الحسّ المشترك ونسبته إلى الحواسّ الخمس نسبة حوضٍ تنصبّ إليه المياه من أنهارٍ خمسة ضرباً للمثل؛ فهو قابل أوّلاً مُثُل جميع المحسوسات، والخيال خزانته. وليس من شرط كل قابل أن يحفظ فإنّ القابل المستعد بسهولة يحتاج إلى فضل رطوبة، والحفظ يحتاج إلى فضل يبوسة.

والثالث، الوهم وهو الذي حكم في الحيوانات على المحسوسات بمعانٍ غير محسوسة كإدراك السِّنور معنىً في الفأر يحمله على الطلب، وإدراك الفأر معنىً في السّنور موجباً للهرب. وهذا في الإنسان ينازع العقلَ، لأنّه قوة جرمانيّة لا يعترف بما يعترف به العقلُ. اِمتحِنْ في تجويز عقلك الانفرادَ بالبيات في بيت فيه ميّتٌ، وتنفير وهمِك، فدلّت منازعتهما على اختلافهما.

والرابع، المتخيّلة وهي التي تُركّب المثل والأحكام. وهي التي تسمّى عند استعمال العقل «المفكّرة» وبها تُستنبّط العلومُ والصناعات، وبها المحاكات في الأحلام وغيرها. وهي غير الخيال، فإنّ الخيال لا يتصرّف بل يحفظ الصور كما جاءت. والمتخيلة تركّب الحيوانّ من أعضاء مختلفة كرأس إنسان وعُنق جَمَلٍ وظَهْر نمرٍ وغيره. وهذا في التجويف الأوسط، والمتخيلة منهما في مؤخّرة.

الخامس، الحافظة وهي تحفظ جميع أحكام الوهم والمتخيّلة والوقائع على تفاصيلها ونسبها. وسلطانها في التّجويف الآخر من الدّماغ. وعُرِفَ تغايُرها باختلال بعضها مع بقاء بعض. وعرف مواضعها باختلال القوى لاختلال المواضع لزوماً مُطّرداً.

(٣٤) وفي الحيوان قوّة محرّكة على أنّها الباعثة وهي النزوعيّة. وتنشعب إلى: شهوانيّةٍ وهي الطالبة لما يلائم، وغضبيّةٍ وهي التي تطلب دفعَ ما لا يلائم. وتنفعل عن تخيل وإدراك. وفي الجملة، هي مطيعة للمدركات، إذ لا شوق إلى ما لا يدرك ولو من وجه واحد؛ وقوة محرّكة على أنّها المباشرة للمحركة تنبثّ في الأعصاب، وتطيع النزوعيّة. وسلطان المحرّكات في القلب كما أنّ المدرِكات في الدماغ. وهاتان القوتان ـ أعني المدركة والمحركة ـ من خواصّ الحيوان.

وله قوى يشترك فيها النّبات:

منها الغاذية وهي قوّة تتصرّف في مادة الغذاء لِتُحيله إلى شبيه جوهر المتغذي بدل ما يتحلل.

ومنها النامية وهي قوة توجب الزيادة في أجزاء المتغذي في جميع الأقطار على تناسب مخصوص.

ومنها المولّدة وهي قوة توجب اختزال فضلة من المادّة لتكون مبدأ لشخص آخر ليتحفظ بها نوع ما لم يتحفظ شخصه. وتخدم الغاذية للغذاء، والماسكة، والهاضمة، والدّافعة للثقل.

(٣٥) وجميع القوى التي في الحيوان، حاملُها الرّوحُ وهو جسم لطيف ينبعث من الجانب الأيسر من القلب. فما يصعد منه إلى الدماغ ويعتدل بتبريده، ويكتسب السلطانَ النوري من النفس يسمّى الرّوح النفساني وبه يتمّ التحريك والإدراك. وما يسري إلى الكبد من القلب في الأوردة، يسمّى روحاً طبيعياً وبه يتمّ أفعالُ القوى النباتية. ولَولا لطف هذا الجسم ما نفذ في شباك الأعصاب. وإذا حصلتْ سُدّة تمنع نفوذ هذه الروح إلى عضو، يموت ذلك العضو. وهذا غير الروح المذكور في المُصحَف في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[١] فإنّ المراد بذلك نفس الناطقة.

قاعدة ـ [في أنّ النفس حادثة مع البدن]

(٣٦) واعلم أنّ النفس لا يتصور وجودها قبل البدن، لأنّها لو كانت قبل البدن موجودةً، فإمّا أن تكون متكثّرةً، التكثّر دون مميّزٍ محال، ولا مميّزَ قبل البدن من الأفعال والانفعالات والإدراكات؛ وإمّا أن تكون متّحدةً، فإن بقيتْ واحدةً تتصرّف في جميع الأبدان كانت للجميع نفسٌ واحدة وكان يجب أن يدرِك جميع الناس ما أدركه واحد، وليس كذا. وإن انقسمت بعد الوحدة فهي جسم، وقد برهن على امتناع جرميّتها؛ فالنّفس حادثةٌ مع البدن. ويدلّ عليها مَثانِ «النّفخ» المذكورة، ومثنى آخر قوله: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾[٢] إلى قوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾[٣] يثنيه قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾[٤] بعد ذكر التّركيب الجسدي.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة مريم، الآية: ١٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ١٩.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

وحدُّ النفس الناطقة أنّها جوهر، غير جسم، من شأنها أن تدرك المعقولات، وتتصرّف في الأجسام. وهي نور من أنوار الله تعالى، القائمة لا في أين. فسبحان، فاعل العجائب، مبدع الهويّات، ومُظهِر الآيات، إله العوالم، واهب الحياة، له الأمر، وإليه الإياب، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

اللّوح الثّالث

في إثبات واجب الوجود وما يليق به من صفات الجلال ونعوت الكمال

مقدّمة ـ [في الوجوب والإمكان]

(٣٧) اعلم أنّ كل موجود إمّا واجب الوجود، وإمّا ممكن الوجود. وقد علمت أنّ الممكن غير ضروريّ الوجود والعدم. فالممكن هو الذي لا يقتضي الوجودَ لذاته إذ ليس وجوده من ذاته أولى من عدمه، ولو اقتضى الوجودَ لذاته كان واجباً لا ممكناً؛ ولو اقتضى العدمَ لذاته كان ممتنعاً؛ فترجُّحُ وجودِ الممكن على عدمه إنّما يكون بسببٍ يرجّح وجودَه على عدمه، وترجُّحُ عدمِه على وجوده إنّما يكون لانتفاء المرجّح. فالممكن إذا وجد يكون وجوده بسبب مرجِّح. وإذا حصل السّبب المرجّح بكماليّته يجب به وجود الممكن. فالممكن بشرط حضور العلّة يجب لا بذاته، بل باعتبار شرط وجود العلّة؛ وبشرط عدم العلّة يمتنع لا بذاته، بل باعتبار شرط عدم العلّة؛ وإذا نظر إلى ذاته دون الشرطَين فهو في نفسه ممكن.

(٣٨) وإذا توقّف وجود الشيء على أمور كثيرة، يكون كل واحد منها جزءَ السبب والمجموع يكون هو السبب التّام. والعلّة التامة هي التي يجب بها وجود الشيء.

والشيء قد يكون له علّةٌ فاعلية كالنّجار للكرسي، ومادّيةٌ كالخشب له، وصوريّة كهيئة الكرسي، وغائيّةٌ وهي التي لأجلها اتّخذ الشيء كحاجة الاستقرار للكرسي.

وفي الجملة، كلّ ما له مدخلٌ في تحقّق الشيء فهو جزء العلّة ـ كان إرادةً أو آلةً أو ارتفاعَ مانع أو حصولَ وقت أو مادة أو معاوناً ـ والمجموع علّةٌ تامّة. ووجود المسبّب يتعلق بوجود السّبب وعدمه بعدم السبب، فإنّه إذا انتفى جزءٌ واحد من العلّة، لا يحصل المعلول، حتى إن حصل جميع ما يحتاج إليه الكرسي ولم يحصل الآلة، أو وجدت ولم توجد إرادة الفاعل، لا يحصل الشيء. وإذا تمّ السبب المرجّح للشيء، يجب به وجود ذلك الشيء، وإلاّ فهو موقوف على شيء آخر، فلم يتمّ السبب بعد. وكل ما يتوقّف على غيره، يكون ممكناً في نفسه؛ إذ لو كان واجباً لذاته لاسْتغنى عن غيره.

واعلم أنّه لا يتصوّر أن يكون شيئان كل واحد منهما سبب للآخر، والسبب يتقدّم على المسبّب، وكلّ واحد منهما يتقدّم على المتقدّم عليه، فيتقدم على نفسه ليحصل ما يحصله وهو محال.

قاعدة ـ [في إثبات واجب الوجود ووحدته وصفاته]

(٣٩) لا شكّ أنّ الأشياء موجودةٌ، فإن كان فيها واجب الوجود فقد صحّ لنا وجود شيء هو واجب الوجود، وهو مطلوبنا. وإن كان الكلّ ممّا تعلمه ممكناً، وقد عرفت أنّ الممكن يحتاج إلى مرجّح ويعود الكلام إليه ولا تذهب الأسباب الممكنة إلى غير النّهاية. فإنّ مجموع الممكنات ممكن، إذ الكلّ مركّب من الآحاد، موقوف عليها، فإذا كانت الآحاد ممكنة، فالمجموع أولى بالإمكان فيحتاج المجموع إلى مرجّح. ولا يكون ذلك المرجّح ممكناً وإلاّ دخل في تلك الجملة المحتاجة إلى مرجّح، فلا يكون علة للمجموع؛ فإذنْ لا بدّ وأن يكون المرجّح واجبَ الوجود لذاته، فصحّ وجود واجب الوجود على التقديرات.

(٤٠) **فنقول**: لا يصحّ أن يكون شيئان هما واجبا الوجود، فإنّهما يشتركان بالضرورة في وجوب الوجود، وكل مشتركَينِ في شيء يجب أن يفترقا بشيء آخر وإلاّ يكونان واحداً. ولولا ما به الافتراق في كل واحد ما صحّ تحقُّق ما به الاشتراك في كل واحد؛ وما به الاشتراك هو وجوب الوجود. فقد توقّف على المميّز، وكلّ

ما يتوقّف على مميّز فهو ممكن، فيلزم أن يكون وجوب وجود كل واحد منهما ممكناً، فيحتاج إلى مرجّح آخر، فليسا بواجبَينِ، فصحّ أنّ واجبَ الوجود واحد.

(٤١) **طريق آخر**: نقول لو اقتضى وجوبُ الوجود التخصّصَ بواحد فلا يكون غيره واجبَ الوجود. وإن لم يقتض التخصّصَ بواحد فتكون نسبته إلى كل واحد واحدة، فيحتاج إلى مرجّح يجعل الشيء واجبَ الوجود بذاته وهو محال. فواجب الوجود واحد لا ثاني له. وهو واحد باعتبار أنّه لم يتركّب من أجزاء؛ إذ كلّ مركّب فهو متوقّف على أجزائه معلول لها، فيكون ممكنا في نفسه. ثم الأجزاء لا تكون واجبة الوجود لما بيّنا امتناع تعدد واجب الوجود فإذا صحّ أنّ واجب الوجود واحد، فهذا الواجب الواحد، ليس بجسم لأنّ الأجسام فيها كثرة وقد قلنا إنّ واجبَ الوجود لا يتقوّم بالأجزاء. وليس بهيئة فإنّ قيام الهيئة إنّما يكون بمحل، وكلّ ما قيامه بشيء فهو ممكنٌ. وكلّ نوع من الهيئات بتكثّر، وقد بيّنا امتناع تكثّر ما يجب وجودُه، فواجب الوجود إذا لم يكن جسمًا ولا جسمانيّاً فهو قائم الذات، بريّ عن الأحياز والجهات.

(٤٢) **طريقة أخرى**: نقول قد صحّ لك أنّ الأجسام كثيرة، ويلزمها من ضرورة النّهاية شكلٌ ومقدارٌ، ولا بدّ من افتراقها بالهيئات. فلو كانت الهيئات تقتضيها الجسميّةُ بما هي جسميّة، لاتّفقت الأجسام في المقادير والأشكال والهيئات، لاتّفاقها في الجسميّة، وليس كذا. وإذا لم يقتضها مجرّدُ الجسميّة، ولا قيام لها ـ أي للأجسام ـ إلاّ بمخصّصاتها، ولا للهيئات إلاّ بحواملها، فجميعها ممكنةٌ محتاجة إلى واجب الوجود بذاته ولا يكون حينئذ واجب الوجود جسماً ولا جسمانيّاً، وإلاّ لكان حاله حالَ سائر الأجسام.

(٤٣) **طريقة أخرى**: هي أنّ الحركات ظاهرة، والحركات لا تقتضيها نفسُ الجسميّة وإلاّ لكان كلّ جسم متحرّكاً ولكانت الحركات غير مختلفة، وليس كذا؛ فلا بدّ للأجسام من مبدأ للحركة، فهو إن كان واجباً فهو المطلوب؛ وإن كان ممكناً فينتهي إلى واجب الوجود بذاته ويلزم حينئذ أن يكون هو غير متغيّر ولا متحرّك.

وهذه الطريقة استعملها إبراهيم الخليل في معرفة الصانع في قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾[(١)] وأيضًا في احتجاجه بـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾[(٢)] فهذا مثنى.

(٤٤) **طريقة أخرى**: نقول قد صح لك وجود النفس الناطقة البشرية؛ وقد بيّنا أنّها حادثةٌ مع البدن فهي ممكنة الوجود، مفتقرة إلى مرجّح ولا يكون مرجّحُها الجسم، إذ لا يفيد الشيء وجود ما هو أشرف منه، فمرجّحها إن كان واجب الوجود فهو المطلوب، وإن كان من الممكنات فتنتهي السلسلة إلى واجب الوجود بذاته.

(٤٥) **ونقول**: النّفس حيّةٌ بذاتها، ومدركة لذاتها، ولا يصح أن يكون إدراكها لذاتها بصورة، فإنّ الصورة التي في ذاتك هي بالنسبة إليها «هي»، فكيف يكون إدراك ما هو غيرك إدراكاً لأنانيّتك؟ فذاتك مدرِكة لنفسها لا بصورة؛ بل لأنّها جوهرٌ مجرّد عن المادة غير غائب عن ذاته. وقد علمت أنّ المانع عن المعقولية المادّةُ؛ إذ ما لم تتجرد الصورة عنها وعن غواشيها لا تصير معقولةً.

وواجب الوجود هو واهب الحياة والعلوم، ولا يُعطي الكمالَ القاصرُ عنه، فهو حيّ عالم. ولا تزيد حياته وعلمه على ذاته، بل هو كونه مجرّداً عن المادة غير غائب عن ذاته وعن لوازم ذاته. و﴿ٱلْحَيُّ﴾[(٣)] هو الدرّاك الفعّال. وواجب الوجود فعّال لجميع الماهيّات، مدرك لذاته، فهو حيٌّ. ومَثانِ العلم تأتي فيما بعد. وإذا أمكن أن يكون للنفس علمٌ بذاتها لا بصورة، فهو أولى بواجب الوجود إذ هو أولى بالوحدة والتجرّد منها. فقد دلّت النفس على مُبدِعها وعلى تجرّده عن الأيون والجهات، وعلى علمه بذاته كما قيل: «مَنْ عرف نفسَهُ فقدْ عرفَ ربَه» والنفس جوهرٌ، حيّ، قائم، بريّ عن المحلّ والموادّ؛ فقد دلّ الحيّ القائم على الحيّ القيّوم ووحدته، كما ورد المثنى في المصحَف: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[(٤)]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

يثنيه قوله: ﴿الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[(١)] ومعنى ﴿الْقَيُّومُ﴾[(٢)] القائم بذاته الذي يقوم به ما سواه؛ وهذا هو واجب الوجود.

(٤٦) وواجب الوجود لا يتّصف بصفة، فإن الصّفة لا يمكن أن تكون واجبةَ الوجود لقيامها بمحلّها. ثم كيف تكون الصّفة وصاحبها واجبَي الوجود وقد بيّنا أنْ لا واجبانِ في الوجود. ولا يصحّ أن تكون له صفة ممكنة، فيحتاج إلى مرجّح: فإن كان ذاته مرجِّحاً لها فيفعل ويقبل بذاته فيكون فيه جهتان قابليّة وفاعليّة، فإنّ جهة الفعل غير جهة القبول. والذي ينظّف رأسه منّا فِعلُه بجهة من قبل نفسه وتحريك يده، وقبولُه برأسه. ولا يصحّ تركُّب واجب الوجود من جهتَي قابليّة وفاعليّة لما سبق؛ فليس له صفة إلاّ سُلوبٌ كالقُدّوسيّة والواحديّة وكونه سلاماً، فإنّ هذه راجعة إلى سلب صفات النقص والعيوب وسلب القسمة. وله صفاتٌ إضافيّة كالمبدأية والخالقيّة.

وكل كمال ثبت للشيء بزوائد عليه، فله ذلك بذاته الوحدانية.

وإذْ لا واجبَ غيره فلا ندّ له. وإذْ لا ممانع له مساوياً في القوة فلا ضدّ له على اصطلاح العامّة. وإذْ لا محلّ له فلا ضدّ له على اصطلاح الخاصّة كتضادّ السواد والبياض. وكل قوّة مستفادةُ منه، فلا يعانده ولا يعادله شيء.

وهو حقٌّ بمعنى أنّه موجود لذاته وما سواه باطل لأنّه في نفسه لا يستحق الوجودَ من ذاته؛ فحقّيتُه بالحق الأوّل لا بذاته.

(٤٧) وواجب الوجود لا يصحّ عليه العدم، لأنّه لو صحّ عليه العدم كان ممكنَ العدم، وممكن العدم ممكن الوجود، وقد كان واجبَ الوجود بذاته وهذا محال.

وواجب الوجود هو الخير المحض فإنّ «الخير» قد يراد به النافع، ولا شيء أنفع من واجب الوجود، فإنّه مبدع الماهيات ومفيد كمالاتها ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١ ـ ٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.

وواجب الوجود أجمل الأشياء وأكملها، فإنّ كلّ جمال وكمال رشحٌ من جماله وكماله؛ فله الجلال الأرفع والبهاء الأكمل والنّور الأقهر؛ سبحانه وتعالى عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيرًا.

وكما أنّا أبصرنا الشّمس ومَنَعَنا نورُها عن الإكتناه بها، وشدّةُ نورانيّتها حجابُها، فنعرف الحقّ الأوّل ولا نحيط به كما ورد في التنزيل ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1] يثنيه قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[2] فالحق محتجَب بكمال نوريّته وشدة ظهوره.

قاعدة ـ [في أنّ الحق الأول لم يزل فاعلاً للأشياء وفي الحدوث الذاتي والتقدم والتأخر والعلية]

(٤٨) إنّ قومًا يرون أنّ الحق الأوّل لم يفعل الأشياء في الأزل، ثم شرع ففعل. وحجّتُهم أنّه لو دام الصُنع مع الصانع لَساواه فلا يكون بينهما فرق.

حجة أخرى قالوا: لو كان العالم دائمَ الوجود لكان عدد أيّامه ولياليه وبالجملة حوادثُ العالم غير متناهية.

وقالوا: اليوم آخر ما مضى، فتناهى به، فانتهى.

(٤٩) وقوم آخرون وهم الفلاسفة مثل أرسطاطاليس ـ وهو إمام القوم ـ ومُباحثوا المشائين يرون أنّ الحقّ الأوّل لم يزل فاعلاً للأشياء وأنّ وجودَه دائم معه. واحتجّوا فقالوا: قد بيّنا أنّ الممكن لا يحصل إلاّ بالمرجّح. فإن كان المرجّح والسبب هو ذاتُه الأول، وذاته مع أيّ عدد من الصفات يفرض وهو دائم، فيدوم التّرجيح؛ وإن كان هو حاصلاً مع جميع ما يفرض صفة له، ولم يحصل الفعل، فهو موقوف على وقت أو شرط أو زوال مانع ممّا يتوقّف عليه الفعل، وقبل جميع الممكنات لا وقت ولا شرط، فإنّهما من المخلوقات. وليس في العدم الصريح حالٌ يكون فيه فعل شيء أولى به من حالٍ آخر. ولا يتجدد له إرادة أو قدرة فيريدَ

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.　(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

بعد ما لم يرد، أو يقدرَ بعد ما لم يقدر. مع أن كل ما يتجدّد هو من جملة الممكنات، ولا يتقدّم على جميع الممكنات إلاّ هو، وهو دائم، فالمرجِّح هو لا غير فيدوم به الترجيح؛ وأفعالنا إنّما يتخلّف عن وجودنا لتوقّفها على إرادة أو مادّة أو آلة أو وقت حتّى إذا حضرت جميع الشرائط لا يتخلّف عنه المعلول؛ وقبل جميع الممكنات لا يفرض شيء يتوقّف عليه الفعل. فهم «يرون هذا الرّأي.

(٥٠) والتقدم ينقسم إلى التقّدم بالزمان كتقدّم إبراهيم على موسى؛ وإلى ما بالوضع والمكان كتقدّم الإمام على المأموم بالنسبة إلى المحراب، أمّا بالنسبة إلى الداخل من الباب فقد يتقدم المأموم على الإمام؛ ومن التقدّم ما يكون بالذات كتقدم حركة الإصبع على حركة الخاتم، فنقول: تحرّك الإصبع فتحرّك الخاتم، ولا نقول تحرّك الخاتم فتحرّك الإصبع، فحركة الإصبع متقدّمة على حركة الخاتم تقدّماً بالذات والعلّية لا بالزمان. للتقدم أقسام أُخر نذكرها في مواضع أُخر فلا يليق هاهنا.

فواجب الوجود يتقدم على فعله تقدّماً بالذّات لا بالزمان فإنّ الزمان أيضاً من جملة الممكنات. وهؤلاء يقولون: لا يلزم من دوام أثر الشيء مساواتُهما، فإنّ وجود أحدهما من الآخر وليس وجود الآخر منه [فكيف] يساوي النيّرُ شعاعَه مع أنّه لا يتخلّف عنه، وإذا دام النيّر دام الشعاع بدوامه.

(٥١) وأمّا الحركات والحوادث فليست لها كليّة حاصلة معاً في الوجود، بل الحركة لا يبقى متقدمها مع متأخرها. وكما أنّ الزمان الحاضر يوجد مبدأ ـ لما سيأتي ـ فهو أول الأبد، والأبد لا آخر له فهو آخر الأزل، والأزل لا أول له. وليس بآخر حركة لا حركة بعده بل تتعقبه ما لا تتناهى.

(٥٢) وقوم قالوا: «إنّ الشيء يحتاج إلى السبب عند الإيجاد، وإذا وجد يستغني بوجوده عن الفاعل حتى لا يضره عدم الفاعل كما يبقى البناء ولا يضره عدم البنّاء». والحكماء يمنعون هذا ويقولون: الممكن بذاته لا يصير واجباً بذاته، إذ لو استغنى عن المرجح صار واجب الوجود بذاته، وهو محال؛ بل ما دام موجوداً محتاج إلى مرجّح؛ بلى قد يكون الشيء له علة ثباته غير علة حدوثه كالصنم مثلاً

فإنّ علة حدوثه فاعله، وعلة ثباته يبوسة العنصر. وقد تكون علة الحدوث بعينه هي علة الثبات أيضاً كالنيّر والشعاع الذي له. وجميع الممكنات علة وجودها وثباتها تنتهي إلى واجب الوجود بذاته ودوامها بدوامه.

(٥٣) والشيء لا ينتسب إلى فاعله لعدمه السابق، فإنّ العدم السابق ليس بفعل الفاعل؛ بل لوجوده الممكن. وقدرة الفاعل على ما يجب به دائمًا أتمّ ممّا على ما يجب به وقتاً مّا. وإذا حصل الفاعل ولم يحصل الفعل فهو موقوف على شرط منتظر هو شريك الفاعل. فقال هؤلاء: لا شريك لله في صنعه ومن أشرك فقد كفر. وقد ورد في التنزيل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] أي لا مدخل في وجود الأشياء لغيره الحي القيوم وقيوميته لذاته فيكون دائمًا له فيدوم قيام الأشياء به، وإلاّ يكون قيوماً في أوقات معدودة لا غير. والقيوم يتضمن المبالغة للإشارة إلى قيامه وإقامته ودوامها. هذا واحد من المثنى، والثاني قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] شهد شهادة هي علمه بذاته ولوازم ذاته التي لا تزيد على ماهيته، وهو بعينه حياته. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3] سلب معاون وجزء به يتم سببيته. ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[4]، دوام وجوده لكمال قيوميته. ويشهد به مثنى آخر وهو قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[5] لعدم تغيره في ذاته وما تقتضيه هويته. يثنيه قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[6] إذ لا مبطل لقيوميته. ومثنى آخر قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[7] يثنيه مثله عقيبه. ومثنى آخر قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[8] وأمره دائم لا يتغير. يثنيه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[9] ذلك لكمال قيوميته وجلال قدسه وذلك لوفور فيضه وسعة جوده وسبق

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٤٣.
(٧) سورة هود، الآية: ١٠٧.
(٨) سورة الروم، الآية: ٢٥.
(٩) سورة فاطر، الآية: ٤١.

رحمته. ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾[١] إشارة إلى استحالة تغير افتضائه. يثنيه قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[٢] فهذا مثنى آخر يشير إلى ثبات اقتضائه.

قاعدة ـ [في قاعدة «الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد» وكيفية صدور الكثرات]

(٥٤) الواحد من جميع الوجوه لا يقتضي إلاّ واحداً، لأنّه لو اقتضى شيئين فأحدهما غير الآخر، فاقتضاء أحدهما ليس اقتضاء الآخر بعينه، فجهة الاقتضاء مختلفة فيه، فيلزم فيه جهتان مختلفتان ليختلف اقتضاؤهما، فيتركب ذاته، وقد فرض واحداً من جميع الوجوه. ونحن إنّما يتكثر أفعالنا لتكثر إرادتنا وأغراضنا. وبإرادة واحدة لا يحصل عنّا أيضاً إلاّ شيء واحد مع تكثر الجهات فينا. فالواحد الحق، أوّل ما يجب به شيء واحد: ليس بجسم، فإنّه يحتاج إلى صورة وهيئات من الشكل والمقدار وهي أمور كثيرة، وقد قلنا إنّ ما يجب به واحد؛ وليس بنفس، فإنّ النفس يلزم أن تكون لجسم تدبره، فيلزم كثرة في الاقتضاء؛ فأوّل ما يجب بالأول جوهر، وحداني، مجرد عن المادة وعوارضها، والتصرف فيها؛ وهو ما يسمونه «العقل الأول» و«المعلول الأول» وقد ورد في التنزيل ما يدل على أنّ المعلول الأول مستعلى على كل من دونه حيث يقول: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[٣] و«اليمين» المقدس جوهر عقلي، يثنيه قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤] ومثنى آخر: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾[٥] يثنيه قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[٦] واسم الحق المتعال ليس بصوت فإنّه لا يسبّح له بل يسبّح به. وقوله «تبارك» له، ووصفه بذلك يدل على أنّه حيّ عاقل لذاته. ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾[٧] يشير إلى الاقتضاء الوحداني بصيغة المبالغة. يثنيه «كلمح بالبصر» إشارة إلى عدم تأخر الاقتضاء عن ذاته المقدسة.

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.
(٦) سورة الأعلى، الآية: ١.
(٧) سورة القمر، الآية: ٥٠.

وقال عليه السلام «أول ما خلق الله العقل».

(٥٥) وهذا العقل الأول له وجوبٌ بالحق الأول، وإمكانٌ في ذاته. ووجوُبه بالحق الأول أشرفُ من إمكانه بنفسه، فهو غنيّ بالأول، فقير في ذاته، فتخلف جهة اقتضائه بما يعقل من نسبته إلى الأول ومن إمكانه بنفسه. فبالجهة الأشرف يقتضي شيئا أشرف وهو جوهر آخر عقليّ، وبجهة إمكانه يقتضي شيئاً آخر أخسّ، وهو جسم فلكيّ. ومن العقل الثاني أيضاً يحصل بالجهة الأشرف جوهر عقليّ، وبالأخسّ جرم فلكيّ. ومن الثالث أيضًا كذا حتى تتكثّر عقول وأفلاك.

والمتأخّرون يرون أنّ عدد العقول عشرة، تسعةٌ منها التي تقتضي الأفلاك التسعة على الترتيب، وواحدٌ للعالم العنصريّ. والحق أنّها كثيرة جدّاً كما ورد في التنزيل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1] ويثنيه قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

(٥٦) واعلم أنّ العقول والنفوس الناطقة وإن كانت تشترك في أنّها غير جسميّة لا يشار إليها، ولا تنقسم في الوهم لأنّها بريّةٌ عن المقادير، إلاّ أنّ النفس تتصرّف في الجسم، والعقل لا يتصرّف في الجسم. والعقل جوهر مجرّد عن المادة من جميع الوجوه، والنفس لها تصرّف وعلاقة مع الأجسام وقد ورد في التنزيل قوله: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤﴾[3] يعني المفارقات من جميع الوجوه ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾[4] يعنى الجواهر المفارقة المدبّرة للأجرام، وهي النّفوس. والعقول فعّالة، كما ورد في التنزيل مثنى وهو قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[5] يثنيه قوله: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[6] فالحقّ الأول له «أيد» فعّالة، لا جواهر جرمانية، بل ذوات عاقلة روحانية فعالة بأمره.

قاعدة ــ [في قاعدة «إمكان الأشرف» وفي النظام الأتم]

(٥٧) إذا وجد الممكن الأخسُّ فيجب أن يكون الممكن الأشرف حصل قبله،

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٤.
(٤) سورة النازعات، الآية: ٥.
(٥) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
(٦) سورة يس، الآية: ٧١.

فإنّ واجب الوجود إن اقتضى بجهة الوحدانية الأخسَ وترك الأشرف، فإذا فُرض الأشرفُ موجوداً ليستدعي جهة أشرف مما عليها واجب الوجود، ومحال أن يتوّهم أو يتعقّل أشرف من واجب الوجود. والأشرف يجوز أن يقتضي ما هو دونه، والأخسّ لا يمكن أن يقتضي ما هو أشرف منه، فوجب بالأول الأشرفُ، وبواسطة الأشرفِ الأخسُّ.

(٥٨) ولا يمكن أن يكون الوجود أتمَّ وأكملَ ممّا هو عليه، كما ورد في التنزيل: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[١] إشارة إلى النظام المحكم، يثنيه قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[٢] يشير إلى المناسبة المحفوظة والنّظام المضبوط. لم يوجد شيء معطّل ولا عريّ عن آثار العناية، والوصول إلى الكمال اللائق به. والأول وإن كان لفعله وسائط فهو الفاعل المطلق والمُبدِع المطلق ليس لغيره رتبة الإبداع. والأشياء وسائط؛ وتلك الوسائط أيضاً تنتهي إليه.

قاعدة ــ [في الأفلاك وحركاتها وإثبات نفوسها وما يتعلق بها]

(٥٩) الجسم المتحرّك على الاستدارة لا يتصور أن تكون حركته طبيعيّة، فإنّ الجسم لا يتصور أن يتحرّك طبعاً إلى ما لا يلائمه، بل إلى ما يلائمه حتى إن كان الجسم على جميع ما يلائمه من الأحوال لا يتحرّك؛ إذ لا مرجّح لحركته من طبعه. فإذا وصل الجسمُ المتحرّك إلى مطلوبه الطبيعيّ وقف. والجسم الذي حركته دورية كل نقطة يقصدها يفارقها، إن كانت غير مطلوبة فلِمَ قصدَ؟ وإن كانت مطلوبة فلِمَ فارقَ؟ ومحال أن يصير مرغوبُ طبيعة واحدة بعينه مهروباً عنه، فالمحدّد والأفلاك حركاتها إرادية، فلها حياة وإدراك، فهي ذواتُ نفوسٍ.

وكل متحرك بالإرادة فله غرض يتحرك لأجله، ولولاه ما ترجَّح وجود الحركة عنده على عدمها. فالأفلاك لها غرض في حركاتها، وليس غرضُها أمراً شخصيّاً تقف عنده، لأنّها لو وجدت أو قنطت لوقفت على التقديرّينِ فما دامت حركاتها ـ وسنبرهن على دوام حركاتها ـ فإذنْ لها إرادة كلية.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨. (٢) سورة الملك، الآية: ٣.

وأيضاً ليس غرضها حيوانياً ـ فإنّه لا نموّ ولا تغذّي لها، إذ لا تقبل التحلّل، والحركةَ المستقيمة، والكونَ والفساد فلا شهوانيّة لها؛ وليس لها خرق ولا فساد ولا مزاحمة فلا غضبيّة لها والأغراض الحيوانية بما هي حيوانية لا تخرج عن هذَين ـ فلها مُرادٌ عقليّ وإرادة لأمر عقلي؛ فلها نفوس ناطقة تدرك المعقولات. وإذا كانت أجرامها أشرف من أجرامنا فنفوسُها أشرفُ من نفوسنا وأقوى.

(٦٠) ونحن مع شواغلنا ونزوعنا إلى اللذّات البدنيّة، إذا طهّرنا نفوسَنا، وقلّلْنا اتّباعَ الشّهوات، وتفكّرنا إلى الملكوت، وتلطّفْنا بمطالعة عجائب النّسب الروحانية، لم نلبث حتى نجد البارقاتِ الإلهيّة تُومض إلينا، والأنوارَ القدسيةَ تشرق علينا، ونجد من ذلك لذةً لا تشبهها لذةٌ.

والنفوس الفلكية لا شاغل لها عن عالمها من شهوة وغضب. ولو تبدَّدت إرادتها كإرادتنا لاضْطربتْ حركاتُها كحركاتنا؛ فهي مستغرقة في النور الإلهي واللذة القدسية. وتنبعث عنها حركاتها الدائمة على سياق واحد لا تتغيّر.

وليس مطلوب جميعها على وتيرة واحدة وإلاّ ما اختلفت حركاتها. وليس بعضها يتشبه ببعض، وليست تتشبّه بشيء واحد وإلاّ لاتّفقت حركاتها. والسافل ليس له عندها من القدر ما تتحرّك لأجله على الدوام؛ فلكلّ واحدٍ معشوقٌ قدسي يتشبّه به نفسه ويقتبس منه النورَ الدّائم واللذة المتوالية.

(٦١) إذا أشرق عليه النورُ أوجب حركةً، والحركة تستدعي إشراقاً آخر، فالإشراقات متواصلة، والحركات بها متوالية. كما قال الصوفي:

إذا تـغـيّـبـتُ بـدا وإن بـدا غـيّـبـنـي

فلكل واحدٍ معشوقٌ خاصّ، وهو العقل المفارق الذي هو ظلّه وطلسمه ومنه وجوده وكماله، لأجل ذلك اختلفتْ حركاتها. وللجميع معشوق واحد وهو نور الأنوار واجب الوجود، ولأجل ذلك تشابهت حركاتها في الدورية.

والأفلاك هي بالفعل إلاّ من جهة الوضع، فإنّها لو بقيت على وضع واحد بقيت سائر الأوضاع بالقوة. ولمّا لم يتصور إخراج جميعها إلى الفعل دفعةً أخرجت على

سبيل التعاقب. وكما أنّ نفسك إذا تأثّرت بالنور المبرق من الملكوت انفعل من ذلك بدنك للعلاقة حتى ربما يتأدّى إلى رقص وتصفيق، فنفس الفلك إذا انفعلتْ باللّذات القدسية والإشراقات، ينفعل من ذلك بدنها بالحركات المناسبة الراشحة للخير الدائم تشبّهاً بالعالي لا التفاتاً إلى السافل. فسبحان من وهب الحياة للعالمين، وحرّك في عشقه هياكلَ المقدّسين، وأقام بأشواق الدائرات النظام العجيب والخطب العظيم والأمر الحكيم ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[1]. ويدلّ على طاعة السماويات لما فوقها مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾[2] و﴿وَٱلْأَمْرُۗ﴾ ليس إلاّ المجرد عن المادة، يثنيه قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] ويعتبرون الآيات العجائبَ.

قاعدة ـ [في أنّ حركات الأفلاك إرادية]

(٦٢) إذا حدث شيء فلا بدّ من حدوث [**مرجِّح**] لجميع أجزائه أو بعضها، وإلاّ لدام. وإذا لم يتخلّف المعلول عن العلة وهو حادث، فهي حادثة. ثم يعود الكلام إلى العلّة المرجّحة الحادثة فإما أن تتسلسل علل حادثة واقعة معاً إلى غير النهاية وهو محال، لما برهنّا أنّ جميع الأسباب ينتهي إلى واجب الوجود بذاته؛ أو تكونَ علل غير متناهية لا تجتمع، وهو المتعيّن. وكل حادث يستدعي أن تكون قبله حوادث لا تتناهى متعاقبة لا تنصرم، وإلاّ عاد الكلام عند الانصرام. والحوادث التّي يصحّ فيها أن لا تنصرم أبدًا هي الحركات الدورية، فإنّ الحركات المستقيمة لها انصرام كما سبق.

فإن قيل: كيف يصحّ أن تكون الحركة المتقدّمة علة للمتأخّرة والمتقدّمة لا تبقى عند وجود المتأخرة؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢.

يجاب: بأنّ النفوس المحرّكة للسماويات لها إرادةٌ كلّية ثابتة بحركة دائمة لغرض دائم الوصول، وإرادةٌ جزئيّة من نقطة إلى أخرى. فالإرادة الكلّية مع الوصول إلى النقطة علّة لإرادة الحركة منها إلى غيرها. والإرادةُ علةُ الحركة والحركة علةُ الوصول إلى ذلك الغير، فلا زال الوصول مع الإرادة الكلية علة للإرادة الجزئية. والإرادةُ الجزئيةُ علةٌ للحركة، والحركةُ علةٌ للوصول وينضبط الكل بإرادةٍ كليّة لا تنصرم. ولا تتوقّف إرادة جزئية على نفس حركة توقّفت عليها ـ وإن توقفت على آخر من نوعها ـ فلا دور ممتنع. فصحّ أنّ الحركات السماوية لا يتصوّر انصرامها. ويدلّ دوامها على دوام السماويات وتنزّهها عن الكون والفساد.

(٦٣) والعقول التي هي المجردة عن علائق الأجرام من جميع الوجوه لا تتغيّر وإلاّ أدّى تغيّرها إلى تغيّر واجب الوجود. والحوادث إنّما تحصل من المفارق لتجدّد استعداد القوابل لا لتغيُّر الفاعل. ويجوز أن يكون فاعل غير متغير يحصل منه شيء في قابل بعد أن لم يكن، لا لتغيّره، بل لأنّ استعداد القابل كان جزءاً للسّبب وما كان محدثًا فتمّ السبب فوجد الشيء. ويجوز أن يحصل من فاعل واحد آثار مختلفة، لا لاخْتلافه بل لاختلاف القوابل كالشمس تُبّيضُ الثوبَ المقصورَ وتُسوِّد وجهَ القصّار.

والمفارق من جميع الوجوه إنّما يصح أن يكون محرِّكاً غير متحرك؛ لأنّه يحرّك بالعشق والتشويق كالمعشوق الذي يتحرّك العاشق إليه لشوقه وفرط عشقه وهو غير متحرك فقد حرّك من غير أن يتحرك. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

اللّوح الرّابع

في النظام والقضاء والقدر وبقاء النفوس والسعادة والشقاوة واللذة والألم وآثار النفوس وفيه قواعد

قاعدة ـ [في دوام فيضه تعالى وبعض آثار رحمته وحكمته]

(٦٤) اعلم أنّ الرحمة الإلهية لمّا لم يجز أن تقف على حدٍّ يبقى وراءها الغير المتناهي على الإمكان الذي لا يخرج إلى الوجود، وجدتْ هيولى ذات قوة للقبول إلى غير النهاية، كما للفاعل قوة الفعل إلى غير النهاية. وكان لا بدّ أيضاً لتجدُّد الفيض من تجدّد أمرٍ مّا، فوُجدتْ أشخاصٌ فلكيّة دائرة لأغراض علوية، يتبعها استعداد غير متناهٍ ينضمّ إلى فاعل غير متناهي قوة الأثر، وقابل غير متناهي قوة الانفعال فيفتح باب نزول البركات ورشح خير الدّائم أزلاً وأبداً. ويحصل الفيض على القوابل بحسب استعداداتها، إذ الواهب لا تغيُّر فيه. ولمّا كان أشرف الحوادث وما يتعلق بالهيولى النفس الناطقة ولم يمكن خروج الممكن منها دفعة دون الأبدان لأنّها غير متناهية، وجهات اقتضاء العلل متناهية ـ لِما تبيّن من نهاية سلسلة العلل ـ ولا مع الأبدان لوجوب تناهي الأجسام، فبحسب الأدوار والاستعدادات المتعاقبة الغير المتناهية تحصل نفوس ناطقة غير متناهية قرناً بعد قرن ليتمّ الأزل بالأبد ولا تصير نعمته بتراء، كما ورد في التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ

مَحْظُورًا﴾[١] ويثنيه قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٢] ودلّ على سلب النهاية عن النفوس بحسب دوام الفيض مثنى من التنزيل قوله: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾[٣] يثنيه قوله: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[٤] و«الكلماتُ» في التنزيل بمعنى الجوهر العاقل من الإنسان. ويشهد بهذا مثنى وهو قوله في حقّ المسيح: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٥] يثنيه قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٦] ولا صعود إلى الحقّ الأوّل لغير الجواهر الباقي. ويثني آيةَ الصعود قولُه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٧] فقد ثنّى العروجُ الصعودَ.

(٦٥) ومن آثار رحمته أن وضع الأرض في الوسط، فلو كانت عند الفلك لاحْترقتْ بتسخين حركة الفلك. ولو جاور الفلك غير النار وكانت النار في حيِّز آخر، لتَسخَّن بحركته وصار ناراً فانفسدت العناصر بين النارَين. ولمّا كانت الحيوانات الأرضيّة ذوات آلات التحريك والإدراك محتاجة إلى عناية العنصر اليابس وغلبته ـ إذ به ينحفظ أشكال الأعضاء وصور المدارك ـ جُعِل مكانها عنده في الوسط وما أحاط به الماء لحاجتها إلى النفَس. ووُضِع عند النار ما يناسبها في الحرّ، وعند الأرض ما يناسبها في البرد. وكان الماء أيضاً مع الهواء مناسبة في الميعان، فوُضِع عنده. ولو كانت الأفلاك كلها نورية لاحترقت بالشعاع ما دونها، ولو كانت عرية عن النور لعمّت الظلمات، ولو كانت أنوارها ثابتة لاحترقتْ ما يقابلها وحرم عن النور ما لم يقابل. ولو كانت لها حركة واحدة للازمتْ دائرةً غير واصل أثر الشعاع إلى النواحي فجعل لها حركة سريعة تابعة لحركة الكل، وحركات أخرى بطيئة، تميل بها إلى النواحي جنوباً وشمالاً.

(٦٦) وانظُرْ كيف وصلتْ رحمته وكلمته إلى كل شيء كما أشار إليه في التنزيل بالمثنى وهو قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٨] يثنيه قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٦) سورة الفاطر، الآية: ١٠.
(٧) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[١]؛ وكيف قدّر الأشياء على حسب استعداداتها، ووَهب لها ما يلائمها من الكمالات كما شهد به المثنى وهو قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[٢] يثنيه قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣].

(٦٧) وانظُرْ إلى النّبات لمّا كان أخسّ نفسًا كيف كان منكوسَ الرأس وهو أصله الذي في الأرض إذا قُطِع بطلتْ قواه. والحيوان الغير الناطق لمّا كان أتمَّ منه صار رأسه من التنكّس إلى التوسّط، ولكنّه ما استقام. والإنسان لمّا فُضِّل عليهما بالنّفس صار رأسه إلى السماء وانتصب قامته، كما شهد به المثنى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[٤] من أمر نفسه واعتدال بدنه وتناسبِ صورته، يثنيه قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٥] هذا إجمال، وفصّل بمثنى آخر وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٦] منهم، بما يختصّ به من النّفوس الناطقة الباقي جوهرُها، الآمِنُ من العدم والفساد، المستعدُّ للفضائل. ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾[٧] أي مداركهم الحسّية ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي مداركهم العقليّة ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[٨] أي من العلوم اليقينيّة والمعارف الحقيقية ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٩] بمزيّات ظاهرهم من تناسب صورهم، وباطِنهم باعتدال المزاج، وباطنِ باطنهم من القوى المحرّكة والمدرِكة التي زاد بها على الحيوانات الأرضيّة من مُؤاتاة أحوال شهوانيّة وغضبيّة وتخيّلية وتفكّرية، وباطنِ باطن الباطن من نفسه وعقله النظريّ والعمليّ. وإنّما خُصِّص بـ ﴿كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾[١٠] لأنّه يُفضّل على المفارقات من جميع الوجوه، والأشخاص الكريمة العلوية. يثنيه قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾[١١] من الصّور والمدارك الحسّية ﴿وَبَاطِنَةً﴾ من المدارك العقلية.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢١.
(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٤) سورة التين، الآية: ٤.
(٥) سورة المؤمن، الآية: ٦٤.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٩) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(١٠) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(١١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

وانظُرْ إلى الحيوانات كيف أعطاها ما يحتاج وهديها، حتّى أنّ السَّخلة أوّل ما تُولَد تقصد الضّرع وتحترز من الجُبّ. وانظرْ إلى إلهام النحل ومسدّساته، ونسج العنكبوت ومثلّثاته، وعجائب الحيوانات، كما أشار إليه التنزيل وهو قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1] ويثنيه قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[2].

وانظر كيف جعل لكلّ شيء كمالاً، وجعل له شوقاً وعشقاً، للطبيعي بحسبه والإرادي بحسبه. وكيف أقام الوجود وحفظ النظام بعشق جلاله، فلولا عشق العالي لانطمس السافل.

قاعدة ـ [في أنّه تعالى هو الغنيّ المطلق والجواد المطلق والملِك المطلق وفي مبدعاته من العقول والنفوس والأجسام]

(٦٨) الحق الأول لا يجب عليه شيء إلزاماً من غيره، ولكن يجب به الأشياءُ. وهو الغنيّ المطلق والجواد المطلق. و«الغنيّ المطلق» هو الذي لا يتوقّف ذاته ولا كمالٌ لذاته على غيره. و«الفقير» هو الذي يتوقّف منه إمّا ذاته أو صفةُ كمال له. ولمّا علمت أنّ الممكنات كلّها مفتقرة إلى واجب الوجود، فلا غنيّ على الإطلاق إلاّ واجب الوجود.

لا يصح وجود غنيّين مطلقَين، إذ لو دخل أحدهما تحت قدرة الآخر كان أولى، وإذا لَمْ يدخل فقد عدم الأولى فهو فقيرٌ عادمٌ لِما هو الأولى. فالغنيّ المطلق واحد وما سواه فقير، كما ورد في التنزيل مثنى وهو قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[3] يثنيه قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[4] ومثنى آخر قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[5] يثنيه قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[6] ومن البيّن أنّ الألف واللام في المحمول يحصر المحمول في الموضوع.

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الأعلى، الآية: ٣.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.
(٦) سورة محمد، الآية: ٣٨.

والمَلِك المطلق هو الذي له ذاتُ كل شيء وليس ذاته لشيء ولا يصح أن يكون هكذا إلاّ واجب الوجود. ويشهد به مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾(١) يثنيه قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢).

(٦٩) وانظر كيف نسبة بدنك إلى العالم العنصري؟ وكيف نسبة العالم العنصري إلى العالم الأثيري؟ فإنّ أصغرَ كوكبٍ من الثّوابت أكبرُ من الأرض مراراً كثيرة.

وانظر كيف صارت الجرمانيّات في حيّز قهر النفوس، والنفوس مقهورة تحت شعاع العقول، والعقول في حيّز قهر نور العقل الأوّل، والعقل الأوّل في نور القيّومية والشعاع القدسيّ الواجبيّ مستغرق خاضع لهويّته أزلاً وأبدًا، منطمس في شعاع جلاله. قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾(٣) يثنيه قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾(٤) يشير إلى ما وقع عليه من هيبة الحضور في المحلّ الشاهق الإلهي تحت شعاع القيّومية ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٥) أي هم متوسّطون في وصل الفيض. ومثنى آخر وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾(٦) ويثنيه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾(٧) والعقل الأول يده المقدّسة. وتحت قهر إبداعه جميع المُلك ـ أي عالم الأجرام ـ والملكوت ـ أي عالم المفارقات ـ ويشهد به مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾(٨) أي تحت حكم شعاع نوره الأول. يثنيه قوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾(٩) ومثنى آخر قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(١٠) يثنيه قوله: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(١١)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٨.
(٨) سورة الملك، الآية: ١.
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(١٠) سورة يس، الآية: ٨٣.
(١١) سورة المؤمنون، الآية: ٨٨.

وملكوت الشيء هو الروحاني الذي يكون ذلك الشيء كظلّ وصنم له، كما ورد في أمثال الأنبياء «إنَّ لِكُلِّ شيء مَلَكاً».

(٧٠) وقد سبق أنّ مبدّعات الحق تنقسم إلى الجسمانيّات وإلى مفارقات غير الأجسام التي لا يشار إليها وهو النّفوس والعقول التي تُعقَل ولا تُحَسُّ، كما ورد في التّنزيل وهو قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨﴾[1] يثنيه قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[2]، فالخلق كل ما له مقدار ومساحة وهو عالم الأجسام، والأمر ما لا حجم ولا مقدار له وهو المفارق فما لا يُبصَر ولا يُحسّ بوجهٍ ما هو «المفارق» كما جاء مثنى آخر وهو قوله: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3] يثنيه قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾[4]. وفيه مثاني كثيرة و﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾[5] هو ما لا يُحَسُّ ولا يُشار إليه.

ثم المفارق ينقسم إلى عقلٍ ونفس. فالعقل مبدأ للنفس بنور ربّه وبهائه، والنّفس تدبّر الجرم. وهما يَدا الحق سبحانه وتعالى ـ أي واسطتا فيضه ـ ويشهد بهذا مثنى وهو قوله: ﴿يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[6] أي غير ممنوعتَين عن الفيض، ولا مقطوعتَي الأثر، ينفق كيف يشاء، دائم جوده، متواصل رحمته. يثنيه قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[7] أي النفوسَ السماويةَ بتحريك أجرامها إلى هيئة التأثير في تيسير التّركيب والتّخليق، والعقلَ المفارقَ بفيض هيئاته ونفسِه المدرِكة.

(٧١) ثم النفوس تنقسم: إلى نفوسٍ متصرّفة في السماويات؛ ونفوس متصرّفة في الأرضيّات. ويشهد بهذا من التنزيل مثنى وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[8] من محرِّكي هياكلها يثنيه مثله عقيبه. ولمّا كانت الهياكل الأرضية كائنةً فاسدة، وأعدلُها المزاجُ الإنساني وهو مع ذلك واقع تحت الكون والفساد سمّي في التنزيل ﴿ضَعِيفًا﴾[9]، كما ورد قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[10] يثنيه قوله:

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١٣.
(٥) سورة الرعد، الآية: ١٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٧) سورة ص، الآية ٧٥.
(٨) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٩) سورة النساء، الآية: ٢٨.
(١٠) سورة النساء، الآية: ٢٨.

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾[١] و[هو] هيئات الحركات المُقّربة والمُبعِّدة للعلل. وسمّيت بذلك، لضِعف وجود الحركة لِعدم تصوّر ثباتها ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾. ولما كانت السماويات ثابتةَ الصور. متباينة عن الفساد سمّيت ﴿شِدَادًا﴾[٢]، كما ورد مثنى وهو قوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[٣] يثنيه قوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾ لجرميتها، ﴿شِدَادٌ﴾ لثبات صورها وعدم انفعالها ممّا تحتها، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ لاستحالة التفاتهم إلى ما تحتهم ولِعدم شواغلهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤]. ذكر لفظ الجمع بعد ذكر ما أمر الله، إشارة إلى طاعة النفوس لمعشوقاتها العقلية ويثني قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥]، قولُه: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾[٦] يدلّ أنّ في المفارقات مُطيعاً كعالم النفس ومُطاعاً كعالم العقل. ويدلّ على دوام ايتمارهم وعدم انقطاع ما هم بسبيله من الحركة الرّاشحة للخير والشوق والدائم والعشق الثابت، مثنى قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨﴾[٧]. ألْعِنديّة إشارة إلى سلب الحيّز عن النفوس السّماوية، وعدم شواغلها. والتسبيحُ دوام طاعتها لثبات أشواقها وتعاقب إشراقاتها. ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[٨] يدلّ على عدم ملالها وانتفاء كَلالها، وأنّ مددها من العالم الأعلى غير متناهٍ. يثنيه قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾[٩] يشير إلى دوام تحريكاتها لِتعاقب التشويقات العقلية. وهذا يثني الأولَ من جهة عدم الفترة؛ ومن جهة العندية يثنيه قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾[١٠].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٣.
(٢) سورة النبأ، الآية: ١٢.
(٣) سورة النبأ، الآية: ١٢.
(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٥) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٦) سورة التكوير، الآية: ٢١.
(٧) سورة فصلت، الآية: ٣٨.
(٨) سورة فصلت، الآية: ٣٨.
(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.
(١٠) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

قاعدة ـ [في الشرّ]

إنّ الشرّ لا ذات له على ما هو مشهور، بل حاصله يرجع إلى الإعدام. فالوجود من حيث هو وجودٌ، خيرٌ ما لم يؤدّ إلى عدم كمال شيء كانتفاء حياة زيد وزوال صحته، أو تفريق اتّصاله الذب به الألَم. والعدم بما هو عَدم، لا ينسب إلى الفاعل إلاّ بالعرض. والشّر لا ينسب إلى الفاعل إلاّ بالعرض، فلا يحتاج إلى فاعل آخر كما ظَنّ مَلاحدة المجوس، كيف وقد دريت أنْ لا واجبَ في الوجود إلاّ واحد. والأمور التي ليس فيها شرّ من وجهٍ ما، هي التي لا ينتفي عنها كمال كذوات العالم الأعلى. وفي الأجسام خيرٌ كثير يلزمه شرّ قليل لا يجوز على رحمة المبُدع إهمالُه، لأنّ في ترك خيرٍ كثير لشرٍّ قليل لا يجوز على رحمة المبُدع إهمالُه، لأنّ في ترك خيرٍ كثير لشرٍّ قليل شرّاً كثيراً كالنار فيها منافع كثيرة، وإن كأن يلزمها أحيانًا حرقُ ثوبٍ فقيرٍ.

فإن قيل: لِمَ ما خُلِقَ هذا القسم بريّاً من الشر؟

يجاب: بأنّ هذا السؤال فاسد، فكأنه قال: «لِمَ ما جُعل الماء غير الماء والنّار غير النار» فإهمال المصالح والخيرات الكلّية لشرٍ جُزويّ لا يجوز. أَلَم تر أنّ الحكمة توجب قطع عضو لسلامة جسد.

(٧٣) ولك أن تعلم أنّ المُبدع الأوّل لم يفعل الأشياء لغرض، لأنّ كل فاعل لغرض إنّما يفعل لأنّ ذلك الغرض أولى به وإلاّ لم يترجّح فعله على تركه. وما هو الأولى بشيء يستكمل به وتَركُه يكون نقصاً له، فهو فقير إلى الفعل. وواجب الوجود لا يمكن فيه جهة فقر واستكمال بالصّنع.

فإن قيل: يفعل الأشياءَ لأنّ الخير حَسَنٌ في نفسه.

يجاب: بأنّ الشيء وإن كان حسناً في نفسه ما لم يكن الأولى عند الفاعل والأحسَن أن يفعله، لا يفعله. والأول غنيّ عن الأشياء.

(٧٤) و«الجود» إفادة ما ينبغي لا لعوض؛ فمن أعطى ليُشكَر أو ليُحمَد أو

ليتخلّص عن المذمة فهو معامل لا جواد. فالحق الأوّل لا غرض له في الصنع، والأشياء ما لم تلزم لا تكون، والعالي لا يعمل للسافل. وإنّما يُطَوِّل حديث الخير والشّرّ مَن يظنّ أنّ حركات الأفلاك وسلاسل الأسباب كانت لمصلحة الإنسان أو لِترفُّه زيد وعمرو، بل هذه لوازم ممّن لا يلتفت إليها. وقد أشرنا إلى أنّ الوجود لا يصحّ أن يكون أتمَّ ممّا هو عليه. والممتنع غير مقدور. ولو كان للبارئ غرض لَما ثبت فضله، وقد ثبت فضله، كما ورد به المثنى وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] يثنيه قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

(٧٥) وليس أنّ البارئ مشتغلُ الذات بأن يعمي أرملةً، ويهمل يتيماً رضيعاً بإماتة مُرضِعته، أو يهتك ستر ربّات ستر، بل هي لوازم مقدّرة بحركات سماوية كلّية كما شهد به المثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[3] يثنيه قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[4].

(٧٦) فموازين الحادثات حركاتُ السّماويات. وحضرة الحق منزّهة عن الظلم، كما ورد به المثنى وهو قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[5] يثنيه قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[6].

وممّا يدل على أنّ للحركات مدخلاً في الحادثات مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[7] والأجل بحضور الوقت، وذلك الزمان، و«الزمان» هو مقدار الحركة، فاشتُرِطت الحادثات بالحركات. يثنيه مثله غير أنّ «إذا» مقترنة فيه بـ«الفاء».

فإن قيل: إن كان الكُلّ بالقَدَر، فلِماذا يعاقب مَن ابتلاه القدر بالخطيئات؟

يجاب: بأنّ العذاب ليس لأنّ الأول ـ المتعالي عن سمات الحادثات ـ يتسلّط

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة غافر، الآية: ٣.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٨.
(٤) سورة الحجر، الآية: ١٩.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٦) سورة ق، الآية: ٢٩.
(٧) سورة يونس، الآية: ٤٩.

عليه الغضب كالملِك الجائر، بل يعذّبهم بهيئات في نفوسهم ساقَها إليهم القَدر، كمن أدّى نهمته السابقة إلى مرض؛ وقد شهد بهذا مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[١] أي يُثابون ويُعاقَبون بصفات أنفسهم، كالمرض المفرط يتعذب بإفراطه يثنيه قوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[٢] أي يوافق مكاسبهم ومثنى آخر وهو قوله: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[٣] يثنيه قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٤] أي الشواغل الهيولانية والرذائل الجسدانية.

قاعدة ـ [في بقاء النفس]

(٧٧) لمّا تبيّن أنّ أجزاء البدن تتحلّل وتتبدّل، ومدرَك منك ثابت، فلو كانت النفس تبطل ببطلان الجسد لبطلت عند التبدل الأولى فإنّ علاقتها مع الرّوح، وهو أبداً في التحليل. وليست النفس ذات مكان أو محل ليكون لها مزاحم أو مُضادٌ يبطلها، أو يتغيّر استعداد المحل فيبطلها. وليس بينها وبين البدن إلاّ علاقةٌ شوقية وهي إضافة، والإضافة أضعف الأعراض، فإنّه ينتقل ما على يمينك إلى يسارك وتتبدّل إضافتك إليه دون تغيّرٍ في ذاتك؛ فلو كانت النفس تبطل ببطلان البدن لكان أضعف الأعراض مقوِّماً لوجود الجوهر، وهو محال. فلمّا كان المفارق الذي هو علّتها دائماً وليست ذات محل فتبقى ببقائه.

ومن الدليل على بقائها من التنزيل مثاني، منها: قوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[٥] بذواتهم المدركة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٦] المتبرّئ عن الحيّز والشّواغل الجسدية، ﴿يُرْزَقُونَ﴾[٧] الأنوار الإلهية، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٨] من اللذّات العلوية والبهجة القدسية. يثنيه قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.
(٢) سورة النبأ، الآية: ٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

﴿يُرْزَقُونَ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[1]. ومما ورد في التنزيل من المثاني في عودها، قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[2] يثنيه قوله ﴿الْكَافِرِينَ يَوْمَئِذٍ وَلَا ﴿٣٠﴾﴾[3] وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ ﴿٤٧﴾ بِالْكَافِرِينَ يَوْمَئِذٍ وَلَا﴾[4] يثنيه قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾[5].

قاعدة ـ [في التّناسخ وأنّه محال]

(٧٨) «التّناسخ» محال، فإنّ النفس لو انتقل تصرّفها إلى بدن من جنس بدنها لكان لِصُلوح مزاج البدن الثّاني لتصرّف النفس، فيستحق من واهب الصور نفساً أخرى وتنتقل إليها نفس فتحصل للحيوان الواحد نفسان ـ المُستنسَخةُ وفائضة ـ وهو محال.

وأيضًا إنْ نزلت من الإنسان إلى الحيوان فتفضل الأبدان على النّفوس المستنسخة. وإنْ صعدتْ منها إلى الإنسان ازدادتْ النفوس على الأبدان. وكلّ هذا محال.

قاعدة ـ [في اللّذة والألم الأخرويتين]

(٧٩) ظنّ العامّة أنْ لا لذّة غير الحسية، ولم يعلموا أنّ لذة الملائكة يشهدون جلال الله ـ أعظمُ وأتمّ وأبهج من لذّات البهائم بمآكلها ومَشاربها.

واعلم أنّ «اللّذة» هي إدراك ما وصل من كمال المُدرك وخيره إليه، إذا لم يكن مُضادّ ولا شاغل. و«الألم» هو إدراك ما وصل من آفة المُدرَك وشرّه إليه، إذا لم يكن شاغل ولا مضادّ. ولكلٍّ من المشاعر لذّةٌ وألم بحسبه: فلِلْبصر ما يتعلّق بالمُبصرات، فلذّته فيما يلائمه منها، وألمه فيما لا يلائمه؛ وللشمّ ما يتعلّق بالمشمومات؛ وللذوق في المطعومات؛ وللشهوة ما بحسبها؛ وللغضب ما بحسبه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.
(٢) سورة القيامة، الآية: ١٢.
(٣) سورة القيامة، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.
(٥) سورة العلق، الآية: ٨.

من الغلبة والقهر؛ فلكل واحد من هذه لذةٌ تخصّه بما يلائمه وألم بما لا يلائمه، حتى أنّ التذاذ الشّم برائحة النِدّ وتألّمه برائحة كريهة، لا يشاركه فيهما لا سمع والبصر.

(٨٠) وكمال الجوهر العاقل منا الانتقاشُ بالحقائق ومعرفة الحق وعجائب ملكوته ومُلكه؛ ومن جهة علاقته مع البدن بأن يستولي على القوى البدنية ولا يستولي هي عليه؛ وأن يكون شهوته وغضبه وفكره في تدبير الحياة، على الاعتدال وعلى ما يقتضي الرأيُ الصحيح. ونقصه في الجهل وتسلّط قوى البدن عليه. وكما أنّ النفس أشرف من قوى البدن، فنقوشه ومدرَكاته من جلال الحق الأوّل وملكوته، أشرف ممّا يدرِكه الحواس بما لا يتقايس. فلذّته أتمّ من لذة الحواسّ أيضًا بما لا يتقايس. وإنّما لا يلتذّ العالِم ولا يتألم الجاهل للشواغل البدنية كالسَّكران الطافح الذي يزوره معشوقه فلا يلتذّ، ويشمت به العدوّ ويضرِبُه ولا يتألّم، فإذا أفاق عظم ألمه.

(٨١) وقد ينكر البدنيّون لذّة الروحانيات لأنّهم ما ذاقوا، كالعنّين ينكر لذة الوقاع. وإذا ارتفع شواغل البدن تلتذّ النفس العارفة بمشاهدة الملكوت وبإشراق أنوار الحق. وقد جاء في التنزيل مثنى يدل على حضور القدسي وهو قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1] يثنيه قوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[2] «العنديّة» برفع الحُجُب، و«النُّضْرَةُ» بشروق النور والبهجة القدسية، و«النَّظَرُ» بتجلي الحق وظهور نوره المُحيي والمُبهج. فيلتذّون بنور الحق الساطع عليهم، كما شهد به المثنى من التنزيل في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[3] يثنيه قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[4] وقد نالت أقصى مطالبها، كما أشار المثنى وهو قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[5] من اللذات الروحانية، يثنيه قوله: ﴿وَفِيهَا مَا

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.
(٢) سورة القمر، الآية: ٥٥.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٤) سورة الحديد، الآية: ١٢.
(٥) سورة النحل، الآية: ٥٧.

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا﴾[1] من الأنوار الربانيّة والأشعّة القيومية. ويثني قولَه: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ قولُهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ وَفِيهَا وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ﴾[2] يثنيه من جهة الأعْيُن؛ ومن جهة الإخفاء، مثنى هذا قوله: ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ لَا وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ فَرِحِينَ﴾[3] يشير إلى ولادتي الإنسان: الصّغرى معروفة، والكبرى الموت أخفِي لهم بالأمثال والرّموز ويمتنع عليهم الإحاطة بكنهه فتلك لذةٌ [لا] تشبهها لذّة، وبهجة وسعادة مؤبّدة، ومملكة مخلّدة في جوار الله والروحانيات من أنواره.

(٨٢) وقد ألبست النّفسُ لباسَ العزّ والبهاء، وتسربلتْ بسربال الشرف والجلال، وتألّهت بقدس الله فتعظّمتْ ووصلتْ إلى أبيها المقدّس فأكرمها وآواها ودعاها، فدعتْه فلبّاها. ولا تجد النفسُ روحَ الحياة الحق إلاّ بعد مفارقة ظلمات البدن، كما أشار إليه مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ كَانُوا۟ وَلَا﴾[4] يثنيه قوله: ﴿ يُرْزَقُونَ ٱلْمَوْتَ بَلْ ﴿٨٨﴾ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[5] من ماء حياة المعارف القدسيّة والمشاهدة العقلية واللذّة السّرمدية.

والحق الأول أشدُّ مبتهجاً بذاته لأنّه أشدّ الأشياء كمالاً وأشدّها إدراكاً لكماله، فهو عاشق لذاته فحسب، ومعشوق لذاته ولغيره. وبعد عشقه ولذّتِه بذاته، عشق المقرّبين ولذتهم به.

(٨٣) وأمّا الأشقياء فيتألّمون بجهلهم المركّب وهو عدم اعتقاد الحق مع اعتقاد نقيضه وهو أشدّ من الجهل البسيط وهو عدم اعتقاد الحق فحسب. والجهل المركب لا [خير] له كما ورد به مثنى التنزيل: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾[6] يثنيه قوله: ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧١.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٦١ ـ ٦٢.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.
(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

﴿ٱلصُّدُورِ﴾[1] ويتألّمون بعذاب البُعد والحجاب عن النور الأوّل، والحياة، وسلبِ الآلات، والهيئات الرديّة كما جاء المثنى وهو قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[2] ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[3] يثنيه قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[4] ويتألّمون بشوقهم إلى الأبدان ولذّاتهم، وهم ممنوعون عنها، كما ورد به المثنى وهو قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[5] ممّا خولوا وتعوّدوا به. يثنيه قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[6] سلبت قواهم فلا بصر يُرى به النور، و[لا سمْعَ] يُسمَع به صفيرُ صافر، ولا رِجلَ يُخلَص [به]، فظهر لهم ما لم يكونوا يحتسبون، كما ورد في التنزيل مثنى ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[7] يثنيه قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾[8].

قاعدة ـ [في كيفية امتياز النفوس عن بارئها وبعضها عن بعض في الآخرة]

(٨٤) فإن قيل: كيف تمتاز النفوسُ عن بارئها وبعضُها عن بعض بعد مفارقة البدن؟

يجاب: بأنّه ليس ما بعد البدن ـ كما يتوهم ـ قبله، أمّا النفوس فيمتاز بعضها عن بعض بما حصل معها من سيّئاتها وملكاتها، وما اكتسبتْ من الخواصّ؛ وأمّا عن العقول المفارقة وواجب الوجود فباختلاف الحقائق، وأنّ جميعها ممكن الوجود والأول واجب الوجود لذاته. وليس المميّز المكان والمحلّ فحسب ـ كما ظنّ ضعفاء العقول ـ فإنّ الطعم والحلاوة كلاهما في محل واحد كالسكّر ويمتاز أحدهما عن الآخر بحقيقته. فالعقول ونحوها تمتاز بحقائقها ومراتبها. وقد ورد المثنى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[9] من مرتبة ماهيته، يثنيه قوله: ﴿وَٱلطَّيْرُ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٢) سورة المطففين، الآية: ١٥.
(٣) سورة المطففين، الآية: ١٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٥٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٤٧.
(٨) سورة الزمر، الآية: ٤٨.
(٩) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

صَٰٓفَّٰتٍ﴾[1] يشير إلى المجرّدات المتخلّصة عن شبكة الأبدان ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[2].

فإن قيل: كيف يتصور أن يكون البارئ والمفارقات غير متّصلة بالعالم ولا منفصلة عنه؟

يجاب: أنّ الانفصال لا يقال إلاّ على ما يصلح الاتصال، كما أنّ الأعمى لا يقال إلاّ على ما يصلح عليه البصر، فلا يقال: الحائط بصير ولا أعمى، ولا أنّه عاقر ولا وَلود، فإنّ هذه المتقابلات لا يقال واحد منها إلاّ على ما يصح عليه مقابله. فما لم يصح عليه الاتصال لا يصحّ عليه الانفصال، لأنّهما من عوارض الأجسام. وكذا الحركة والسكون كما قال «حلاّج» الأسرار:

الحمد لله لا بون ولا صلة هذا مقام لنا معنى معاينة

قاعدة ـ [في النبوات والمنامات وكيفية الاطلاع على المغيبات]

(٨٥) النفوس من سنخ الملكوت، ولولا شواغلها لانتقشتْ بنقوش الملكوتية. والنفوس الفلكيّة عالمةٌ بلوازم حركاتها وما كان وما سيكون، كما ورد به المثنى وهو قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[3] يثنيه قوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4] ومثنى آخر وهو قوله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾[5] يثنيه قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾[6] وكتاب الله لا يكون من الكاغذ وجلد البقر، بل ما يليق بملكوته وهي العقول المدركة والنّفوس المدبّرة ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾[7] الذّوات المدبّرة ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾[8] من دنس العنصريّات ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾[9] عن علائقها ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾[10] أي

---

(١) سورة النور، الآية: ٤١.
(٢) سورة النور، الآية: ٤١.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٥) سورة القمر، الآية: ٥٢.
(٦) سورة القمر، الآية: ٥٣.
(٧) سورة عبس، الآية: ١٣.
(٨) سورة عبس، الآية: ١٤.
(٩) سورة عبس، الآية: ١٤.
(١٠) سورة عبس، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

الروحانيّين الذين فوقهم وهم تحت قهر شعاعهم يثنيه قولُه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[١]، ومثنى آخر وهو قولُه: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢] يعني الروحانيّات المنتقشة بجميع الكائنات يثنيه قولُه حكايةً عن موسى لمّا سأله السائل: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[٣] وورد بعلم الأوّل والكتاب القدسيّ مثنى آخر وهو قولُه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤] يثنيه قولُه: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٥].

(٨٦) فالغرض أنّ الجواهر الروحانية منتقشة بجميع الأشياء. وقد يتّصل بها نفوسُنا أحياناً ـ كما في النوم ـ فينتقش بنقوش الكائنات فيطّلع على الغيب لأنّ مشاغل الحواسّ قلّت. ولولا تشويشات المتخيّلة لسَهُلَ لنا الاطّلاع إلاّ أنّها في النّوم أيضاً تشغل. فإن اتّفق أن يضعف سلطانها انتقشت النّفس بشيء من الغيب فيكون منه المنام الصادق؛ إلاّ أنّ المتخيّلة لا تزال تنتقل من صورة إلى صورة تناسبها وتشابهها أو تضادّها: فإنْ رأتِ النّفس العدوَّ حاكتْه المتخيّلة بالحيّة والذّئب، وإنْ رأتِ المَلِك حاكتْه ببحر أو جبل. فإذا نسيت النفس ما رأت، وبقي في الذّكر ما ينازع إليه المتخيّلة فيحتاج إلى تعبير فيحدس المعبّر حدساً أنّ هذه المحاكات عن أي شيء كان.

(٨٧) والأنبياء والفضلاء المتألّهون يتيسّر لهم الاطّلاع على المغيبات، لأنّ نفوسهم إمّا قويّة في الفطرة أو يتقوّى بطرائقهم وعلومهم فينتقشون بالمغيبات، لأنّ نفوسهم كالمَرايا المصقولة تتجلّى فيها نقوشٌ من الملكوت. فقد يسري شبح إلى

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٣) سورة طه، الآيتان: ٥١ ـ ٥٢.
(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٣.

الحسّ المشترك، يخاطبهم ألَذَّ مخاطبة وهو في أشرف صورة. وربما يرون الغيب بالحسّ المشترك مشاهدةً. وربّما يسمعون صوت هاتف، أو يقرؤون من مسطور. كلّ ذلك نقوشٌ تسري إلى التخيّل ومنه إلى الحسّ المشترك. فالحسّ المشترك إنّما لا ينتقش من التخيّل في عامّة الأوقات، لأنّ الحسّ المشترك تشغله الحواسُّ الظّاهرة، والمتخيلة يشغلها العقلُ، فإذا اختلّ الضبطُ ـ كما في المنام أو غيره ـ تسلّط التخيّل على الحسّ المشترك ولَوَّحَ فيه: إمّا صوراً جزافيّةً كما في أضغاث أحلام، أو صوراً هي محاكاة أمورٍ قدسيّة فتكون مناماً صادقاً أو وَحْياً صريحاً. وقد يتّفق للمصروعين والممرورين، الاطّلاع على بعض المغيبات لقلّة شواغلهم وفساد آلائهم. وقد يشغل المستنطقون الصبيبانَ بأمور تُحيّر البصرَ وتدهش الخيالَ كالقدح الذي فيه الماء، أو لطخ من سواد برّاق وغيرهما فتقع لنفوسهم بعد حيرة الحواسّ وركود التّخيل صورٌ غيبيّة ويطّلعون على أمور صحيحة.

قاعدة ـ [في العقل الفعّال ونسبة نفوسنا إليه]

(٨٨) وتعلم أنّ نفوسنا هي بالقوة أوّل ما تحصل، ثمّ تحصل فيها الأوائل وتنتقل منها إلى الثّواني. فواسطة وجود نفوسِنا ومكمّلُها ومُخرِجُها من القوّة إلى الفعل، هو ما سمّاه الحكماءُ «العقل الفعّال» ويسمّيه الشرعُ ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾[(١)]. نسبته إلى عقولنا كنسبة الشّمس إلى أبصارنا وهو «الرّوحُ» الذي أضيف إلى الحقّ في المثاني التي أوردناها من قبل كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[(٢)] [و] أخواته. وهو واسطة وجود العالم العنصريّ «وكَدْخُدأي العنصريّات بأمر الله. وهو الذي ينتقش نفوسنا بالفضائل إذا اتّصلنا به، كما ورد به مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾[(٣)] وقلمُ الحقّ الأوّل ليس من خشب أو قصب، بل ذاتٌ عقليّ هو عقل بالفعل نسبة نفوسنا إليه نسبة اللّوح إلى القلم، فنفوسنا ألواحٌ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٣) سورة العلق، الآيتان: ٣ ـ ٤.

مجردة وهو قلم ينقشها بالعلوم ويثنيه قوله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1] وممّا يشهد بأنّ التّعليم من القدس قولُه في حقّ النّبي: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[2] يشير به إلى العقل الفعّال الذي أيّده الله بالقوّة الغير المتناهية. يثنيه قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3] وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾[4] ويثنيه قوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[5]. وقوله: ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[6]، يثنيه ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾[7] ومثنى آخر ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[8] ويثنيه قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[9]. وقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[10] إشارة إلى إخراجه من القوّة إلى الفعل يثنيه قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[11].

قاعدة ـ [في قوله عليه السلام: «من مات فقدْ قامَتْ قِيامَتُهُ»]

(٨٩) في قوله عليه السلام: «مَن مات فقدْ قامَتْ قِيامَتُهُ»، يشير إلى أنّه ﴿ٱنفَطَرَتْ﴾[12] سماؤه التي هي أمّ رأسه، و﴿ٱنتَثَرَتْ﴾[13] نجومه التي هي حواسّه، و﴿كُوِّرَتْ﴾[14] شمسه التي هي قلبه، و﴿عُطِّلَتْ﴾[15] عِشاره التي هي رِجله، و﴿زُلْزِلَتِ﴾[16] أرضه التي هي بدنه، و﴿حُشِرَتْ﴾[17] وحوشه التي هي قواه سيّما الغضبية، و﴿دُكَّتِ﴾[18] جباله التي هي عظامه، وغير ذلك. ويشهد بذلك مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[19] أي نفوسكم التي تجرّدتْ عن آلاتها

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة النجم، الآية: ٥.
(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٤) سورة النجم، الآية: ٦.
(٥) سورة التكوير، الآية: ٢٠.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.
(٧) سورة التكوير، الآية: ٢١.
(٨) سورة النحل، الآية: ١٠٢.
(٩) سورة النمل، الآية: ٦.
(١٠) سورة العلق، الآية: ٥.
(١١) سورة الرحمن، الآيتان: ٣ ـ ٤.
(١٢) سورة الانفطار، الآية: ١.
(١٣) سورة الانفطار، الآية: ٢.
(١٤) سورة التكوير، الآية: ١.
(١٥) سورة التكوير، الآية: ٤.
(١٦) سورة الزلزلة، الآية: ١.
(١٧) سورة التكوير، الآية: ٥.
(١٨) سورة الفجر، الآية: ٢١.
(١٩) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

فهي عائدةٌ وحدها يثنيه قوله: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾[1] أي فردانية الذات يشير إلى الشاعرة الدراكة.

قاعدة ـ [في الأنوار وأقسامها وإشارة إلى هورخش وهو وجهة الله العليا على لسان الإشراق]

(٩٠) اعلم أنّ علاقة النفس مع البدن باعتبار الجسم الذي هو الروح. والروح الذي هو في الدماغ نوراني حتى إنْ قلّتْ نورانيته اضطربت الحياة وحصل الماليخوليا وغيره. فأول علاقة النفس مع النور، وأول رفيق للحياة النورُ. وترى ميل الحيوانات إلى النور عند رُكود الحواسّ وهدوء الحركات في ظلمة الليل. ففرحُ النفوس بالنور أشدّ من جميع الأشياء.

(٩١) وتعلم أنّ النور الجرمي هيئة في الجرم فهو ظهور لغيره ونور لغيره. ولو كان قائماً بنفسه لكان نوراً لذاته وظاهراً لذاته، وكان حيّاً، وكل حيّ بذاته نورٌ مجرد وكل نورٍ مجرد حيّ بذاته. والأول هو نور الأنوار، لأنّه معطي كل حياة ونورية. وهو ظاهر لذاته، مُظهِر لغيره وورد في المصحف مثنى وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] فنوريته ظهورُه لذاته وإظهاره لغيره. فهو نور الأنوار، ونورية النيّرات ظلّ لنوره، فأنار بنوره السماوات والأرض يثنيه قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3].

(٩٢) وإذا كان أشرف ما في المحسوسات النور فأظهرُ الأنوار وأتمها وأشرفها وأشرف الأجسام «هورخش» الشديد، قاهر الغسق، مَلِك الكواكب، رئيس السماء فاعل النهار بأمر الله، كامل القوى، خازن العجائب، شديد الهيبة، المستغني بنوره عن جميع الكواكب يعطيها ولا يأخذ منها، ويكسوها النُضرة والبهاء والإشراق ـ فسبحان من صوّره ونوّره وفي عشق جلاله سيّره ـ وهو ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[١] لأنّه نور أنوار الأجسام، كما أنّ الحقّ نور جميع الأنوار العقليّة وغيرها يثنيه قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾[٢] فهذا مثنى من المثل الذي هو الآية العُليا الظّاهرة بنوره، الخفي شرفه على الجاهلين. فآية الله أظهرُ الآيات، وأظهر الآيات «هورخش» الشّديد؛ فهو الآية الكُبرى العلامة بأمر الله. وهو خفيّ أي لم يظهر شرفه. وهو سبب النّهار بظهوره، واللّيل بخفائه، والفصول الأربعةِ بميله جنوباً وشمالاً، وهو قرّة أعيُن السّالكين، ووسيلتهم إلى الحقّ تعالى. فهو الحيّ النّاطق الأظهر، وهو الحجّة على عباده، وهو آية التّوحيد لأنّه واحد في المرتبة يشهد بواحد. وهو وجهة الله العُليا على لسان الإشراق، وهو للعالَم وجهٌ وعين وقلب ورأس تبارك الذي أظهره وأكّد به الحجّة على العالمين وقد شهد به مثنى من التنزيل لمّا ربط به التّقدير في قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[٣] يثنيه قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[٤] ونطق بشرف الأنوار السماوية مثنى من التنزيل وهو قوله ﴿۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[٥] و«مواقعها»: مظاهرها، لما هي مظاهر الروحانيّات يثنيه قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾[٦].

قاعدة ـ [في أنّ النفس إذا طهرت استنارت بنور الحق وحصلت فيها السكينة القدسية وأثّرت في الأجسام والنفوس وإشارة إلى النور المسمّى بـ «خرّة» و«كيان خرّة» ومَن ناله من عظماء الفُرس]

(٩٣) إذا طهرت النفس استنارت بنور الحق، كما ورد مثنى من التنزيل وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾[٧] أي من ظلمات الجهل إلى أنوار المعارف يثنيه قوله: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ٦٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.
(٤) سورة يس، الآية: ٣٨.
(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦.
(٦) سورة التكوير، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

ٱلسَّلَٰمِ﴾[١] أي يتيسّر طريق التّخلّص إلى عالم القدس والطهارة ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٢] وإذا برقتْ عليها الأنوار الإلهيّة، وحصلتْ فيها السكينة القدسيّة، برقتْ وأثرتْ في الأجسام والنّفوس، كالحديد الحامية تكسوها مجاورة النّار هيئةً نورانيّةً وخاصية الاحتراق. فإذا تألّقتْ بسناء المجد واستضائتْ بضوء القدس تنفعل عنها النفوس وتتأثّر عنها الموادّ، ويُسمَع دعاؤها في الملكوت. سّيما المَلِك إذا دام فكره في آيات الجبروت، واشتاق إلى عالمه النيّر، وتلطَّفَ بالعشق النّورانيّ، واتّصف بالجود والخير والكرم والعدل فيُنصَر من الأفق الأعلى، ويتقوّى على الأعداء، ويصير محفوظاً عظيم الصّيت، شديد الهيبة، لأنّه حينئذ يكون ـ لشدة استضائته وقوّة تأييده ـ من جملة حزب الله. وقد ورد في التنزيل مثنى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[٣] يثنيه من جهة الحزبيّة قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٤] لشعاع القدس وتأييد القهر ويثنيه قوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[٥] من جهة القهر والغلبة ـ وقد تثنى آيةً واحدةً بجهتين آيتان ـ وينال نور الذي ناله قدماء الفرس من عظماء الملوك، وما كانوا هم من المجوس والثّنوية فإنّ الآراء من بعد «كشتاسف» ظهرتْ.

(٩٤) والنّور المعطي للتّأييد الذي تأتلق به النّفس، يسمّى في لغتهم «خُرّة» وما يتخصّص بالملوك هو «كَيان خُرّة». ومن جملة [من] ناله صاحب النّيرنج المَلِك «افريدون» ذو الأيد والنّور الحاكم بالعدل: لمّا أعطى حقّ ناموس التّقديس على حسب وسعه، ظفر بمنطقيّة الأب الكريم، واتّصل به بطريقَي المثال والتّجريد؛ فأدرك السعادة القُصوى، واستعدَّ لأعلى ما يناله القاصدون، فأوتي لما تألق بأشعّة أنوار الله العليا [بسلطنة] كيانيّة حكَمَ بها على النوع وتسلّط بقوّته على عدوّ الفضائل ذي العلامَتينِ الخبيثَتينِ، فأباده بأمر الله تعالى، ورَدّ السّبايا وبسطَ ظلّ

(١) سورة المائدة، الآية: ١٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

عدله على المعمورة كلّها. وأعطِيَ من العلوم ما زاد به على كثير من هذه الإعصار، ونشر العلم، ومهد العدل، وقهر الشرّ، وأبرم الأمر، وقسّم الأرض، وترك المُلك الطويل الثابت في بيته مثوبةً من الله. وتمّ في عصره نشو النبات والحيوان.

(٩٥) وثانيه، من ذريّته، المَلِك الظافر «كيخسرو» أقام التّقديس والعبوديّة فأتته منطقيّةُ القدس، ونطق معه الغيب، وعرج نفسه إلى العالم الأعلى منتقشاً بحكمة الله العليا، وواجهتْه أنوار الله بوجهها، فأدرك منها المعنى الذي يسمّى «كيان خُرّة» وهو تألُق في النّفس ـ قاهر ـ فخضعتْ له الأعناق، فأهلك ـ بقوّة الله ـ الشّريرَ، محبَّ العدوان والتّلف، شديدَ القساوة التُّركيّ «أفراسياب» الجاحدَ للحقّ، المنكر لأنعُم الله، رافض التقديس، صاحبَ الجنود التي أعجزت العادّين، قضى عليه في الجانب الغربي.

والمَلِك القدّيس حين تسلّط متثاقلاً بسكينة المجد ينفعل عنه العناصر بالبركات، ما رأت العيون من قتل الأشرار، ما رأت في تلك المعارك، ذات الألوف الجمّة من عساكر الفجّار.

ولمّا ظهر أثر المَلِك الفاضل في العالم بإحياء السّنَن الشريفة، وتعظيم الأنوار المقدّسة، والحكم بتأييد الله على البسيط كلّها، توالتْ عليه مشاهدات الجلال في مواقف الشرف الأعظم، دعاه منادِي العشق فلبّاه، وأمره حاكم الشوق المقدّس بأمره فتلقّاه بالسّمع والطّاعة، ناداه أبوه وسمع أنّه يدعوه فأجابه مهاجراً إلى الله، تاركاً ـ في سبيله ـ مُلك المعمورة كلها. وامتثل حكم المحبّة الروحانيّة بترك الأقارب والأوطان. ما عهدت الأعصار غيره مَلِكاً على قدرة. حرّكته القوّة الإلهيّة من الخروج إلى الدّيار. فسلامٌ عليه يوم فارق الأطلال والمعالم، وسلامٌ عليه يوم توقّل ذروة مصعد المفارقات.

قاعدة ـ [إشارة إلى كيفية تخلص النفس إلى عالم الحق وأحوال السالك وما يتلقّى من المعارف والأنوار]

(٩٦) القوّة الفكريّة إذا اشتغلت بالأمور الروحانيّة، وأقبلتْ على المعارف

الحقيقيّة فهي الشجرة المباركة، لأنّها ذات أغصان الأفكار يتوصّل بها إلى نور اليقين، كما ورد في التنزيل فيه مثنى وهو قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾(١) ﴿ٱلشَّجَرِ﴾(٢) هو الفكر، و«خضرته» هي إيقاده لمسالك النظر وانصرافه بالتّعوّد إلى عالم القدس يثنيه قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾(٣) أي الثّواني العلميّة والنّفحات القدسيّة التي يتوصّلون إليها من الأوائل ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾(٤). ويؤيّد هذا مثنى آخر وهو قوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾(٥) هو الأفق العقلي «تَنبُت بالدُّهنِ وَصِبْغٍ لِلآكلين» أي يكتسب دهنة المعقولات إلى [أن تستعدّ] النّفسُ للوميض القدسيّ واشتعال مصباح اليقين ونارية السكنية في النفس بالمعارف. خبزهم هو خبز الملائكة ـ الذي أشار إليه فيثاغورس في رموزه، وداوود في مزاميره؛ وأدمهم الأنوار المُبرِقة. وقد أشير إلى هذه الشجرة حين قيل: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾(٦) أي ليست عقلية محضة ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾(٧) أي ليست هيولانيّةً محضة، وهي بعينها شجرة موسى التي سمع منها النداء ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(٨) وقوله ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾(٩) هذه النار هو الأب المقدس ـ روح القدس ـ وهو النّارُ التي جاءت في قوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾(١٠) أي المتّصلين بها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(١١) أي المحبين للمتّصلين بها.

(٩٧) ونفوسنا مصابيح اتّقدتْ من هذه النّار المقدّسة العظيمة؛ فهذا المثنى يشير إلى هذه النّار المقدّسة. وجاء مثنى في حقّ موسى عليه السلام: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾(١٢) أشار إلى ترك أهله أي حواسّه الظاهرة والباطنة كما

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٠.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٠.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧١.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٧٢.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٢٠.
(٦) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٧) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٨) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٩) سورة النور، الآية: ٣٥.
(١٠) سورة النمل، الآية: ٨.
(١١) سورة النمل، الآية: ٨.
(١٢) سورة طه، الآية: ١٠.

قيل: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[(١)] . ويثني ﴿رَءَا نَارٗا﴾[(٢)]، قولُه ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾[(٣)]. وقوله ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[(٤)] يثنيه قولُه: ﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾[(٥)]. وقوله ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[(٦)] يثنيه قولُه تعالى: ﴿ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾[(٧)] فالقبسُ للمصطلي والخبرُ لـ ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[(٨)]. أُنظر إلى إعجاز الوحي الإلهي وضربه الأمثال بالإشارة إلى النفس وأحوالها بالأمور المحسوسة، وتفهيم المعقولات بأمثالٍ حسّيةٍ، كما ورد مثنى في قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[(٩)] يثنيه قولُه: ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ﴾[(١٠)] ومثنى آخر ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[(١١)] يثنيه قولُه: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[(١٢)] يشير إلى أنّ عجائب العالم الأكبر تُوجد أمثالها في العالم الأصغر الّذي هو الإنسان. ومثنى آخر وهو قوله: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾[(١٣)] يشير إلى أنّ أمور الوحي إشارات إلى العالم الأصغر وأحواله؛ يثنيه قوله: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(١٤)].

(٩٨) والمتخيّلة إذا انصبتْ إلى الأمور الحسيّة [وانتقلتْ من شيء إلى شيء منعت النّفسَ عن إدراك المعقولات وشوّشتْ عليها المنامات] كما ورد مثنى في حديث الرؤيا: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[(١٥)] وهي المشوَّشة المخلطة للأمور الصحيحة، يثنيه قولُه: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾[(١٦)]

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٠.
(٣) سورة القصص، الآية: ٢٩.
(٤) سورة النمل، الآية: ٨.
(٥) سورة النمل، الآية: ٧، ومن حولها سورة النمل، الآية: ٨.
(٦) سورة النمل، الآية: ٨.
(٧) سورة القصص، الآية: ٢٩.
(٨) سورة النمل، الآية: ٨.
(٩) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.
(١٠) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.
(١١) سورة والذاريات، الآية: ٢١.
(١٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.
(١٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠.
(١٤) سورة هود، الآية: ١٢٠.
(١٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.
(١٦) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

لأنّها دائمة الحركة، لا يفتر في وقت. وهذه المتخيّلة هي الجبل الحائل بين عالم العقل ونفوسنا. ألم ترَ أنّ موسى لمّا طلب الرؤية قيل له: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾(١)، لأنّ هذا جبل حائل دائم التّحرك، شاغل للنّفس. فلمّا تعدّى السّانح القدسيّ إلى معدن التّخيّل قهرَه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٢) انقطع سلطان البشريّة بظهور نور الحقيقة، فأصطلمت النفس، وفنيت عن مشاهدة الكثرة بنور القيّوميّة. وللعلماء المتألهين أسرارٌ في كيفيّة تخلّص النفس إلى عالم الحقّ، أشرنا إليها في «حكمة الإشراق».

(٩٩) اللهمّ يا قيّام الوجود، وفائض الجود، مُنزِل البركات، وغاية الحركات، منتهى الرّغبات، ونهاية الطلبات، نور النّور، ومدبّر الأمور، واهب حياة العالمين، أيِّدْنا بنورك، وفِّقنا لمرضاتك، وألهِمْنا برشدك، وطَهِّرنا من رجس الظلمات، وخلِّصنا من غسق الطبيعة إلى مشاهدة أنوارك ومعاينة أضوائك ومجاورة مقرّبيك ومرافقة سكّان ملكوتك، واحشرنا ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾ أنعمت ﴿عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٣).

(١٠٠) واعلم إنّه يجب على المستبصر دوامُ الفكر في العوالم وأسرار الوجود والنّظام المتقّن في السّماوات والأرض، كما شهد به مثنى في قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٤) أي ليس صادرًا عن إرادة جزافيّة أقدمت عليه في الابتداء جزافاً، أو يقتضي بطلانه بعد حصوله. ليس جوده أبترَ ولا ناقصاً ولا منقطع الطّرفينِ. ويثنى هذه الآيةَ من حيث لزوم الفكر قولُه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾(٥) إشارة إلى تعميم الفكر [في كلّ ما خلقه الله]. و«النّظر» إذا قرن بلفظة «في» يراد به الفكر. وملكوتُ الأشياء روحانيّاتُها لا قشورها الجسمانيّة. وإذا تلطّفتْ الفكرة في الأمور

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٤) سورة آل عمران، لآية: ١٩١.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

الرّوحانية توالت البارقات الإلهيّة عليها، كما ورد مثنى في قوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾(١) من شدّة الخطفات وقوة النّفحات. ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾(٢) بالسّتر والكشف، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٣) أي للمستبصرين من أصحاب الاعتبار. يثنيه قولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾(٤) يغشيكم على الفوات والانقطاع ﴿وَطَمَعًا﴾(٥) في الثّبات، ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾(٦) أي السكينة الثابتة الممطرة للعلوم. ويدلّ على حال السّالك في حال خطفاته العلوية مثنى قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾(٧) [أي] ظلمة إليها، كل ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾(٨) أي النفوس المستضيئة عند الخطفة بالألق. يثنيه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾(٩) أي ظلمة العلاقة البدنيّة وضوء البروق الروحانيّة، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾(١٠) بسلطان ضوء البازغ من الأفق الأعلى ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾(١١) أي مظهرة للحقائق. وورد فيما يتلقّى من الحقائق عند ظهور الأنوار مثنى قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾(١٢) أي السّبات الإلهي الذي يكون للسّالك عند خمود القُوى. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١٣) أي من العالم العقلي ﴿مَآءً﴾(١٤) أي علوماً وأنواراً ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾(١٥) [من دنس هذا العالم] ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(١٦) ما يتعلّق بنفوسكم من الشّواغل الهيولانيّة والعلائق الظلمانيّة. ولمّا قال: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾(١٧)، دلّ

---

(١) سورة النور، الآية ٤٣.
(٢) سورة النور، الآية: ٤٤.
(٣) سورة النور، الآية: ٤٤.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١٢.
(٥) سورة الرعد، الآية: ١٢.
(٦) سورة الرعد، الآية: ١٢.
(٧) سورة يس، الآية: ٣٧.
(٨) سورة يس، الآية: ٣٧.
(٩) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(١٠) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(١١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(١٢) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(١٣) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(١٤) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(١٥) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(١٦) سورة الأنفال، الآية: ١١.
(١٧) سورة الأنفال، الآية: ١١.

على أنّ المقصد الأصليّ في الآية ليس الماء الخارجيّ. ويثني هذه الآيةَ قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي ما يقع من حركة الروح النفسانيّ مما يوجب اقشعرار البدن عند ظهور النّور، ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] أي من الأفق العقليّ ﴿مَآءً طَهُورًا﴾[2] من المعارف وأنوار اليقين ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾[3] [أي] نفسا جاهلةً بماء حياة الحقائق.

(١٠١) واعلم أنّ النفس خليفة الله في أرضه، كما ورد قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[4] على حسب فضائل النفوس ومراقي الهمّم يثنيه قوله: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾[5] وورد به مثنى آخر وهو قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[6] يثنيه قوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾[7]. وقبيح بالخليفة أن يجعل المملكة التي هي له سبباً لبطلان مُلكه العالي الدائم. وهذا في حقّ الملوك أظهر، فإنّه من القبيح أن يسبقهم في الآخرة من سبقوه في الدّنيا. ومن الحسرة أن يسبِق في الدائم، من يُسبَق في الزائل.

(١٠٢) اللّهمّ غفرانك، آمنّا بك، وأقررْنا بآياتك، وصدّقنا رسالاتك، وعلمِنا أنّه لا مذهب وراك، ولا حول إلاّ حولك، ولا قوّة إلاّ قوّتك. خضعتْ لجلالك رقابنا، وخشعتْ لعزّتك نفوسنا. اقتضنا من غضبك إلى رضاك، ومن عذابك إلى رحمتك، ومن ظلماتنا إلى نورك أزِلْ عنّا العَمى، وادفعْ عنّا سلطان الهوى. ما جعلتَ إلينا أمرَ خَلقِنا، فلا تجعل إلينا أمر كمالنا. ارحمنا وارض عنّا وارضنا عنك، إنّك بالجود الأعمّ منّان. هب لنا من لدنك رحمةً إنّك الوهّاب. والله أعلم بالصّواب. والحمد لله أوّلاً وآخراً والصّلاة على رسوله محمّد وآله أجمعين.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٨.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٨ ـ ٤٩.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٧) سورة ص، الآية: ٢٦.